المراهقة
خصائصها ومشكلاتها

تأليف

دكتور

إبراهيم وجيه محمود

١٩٨١

دار المعارف

المراهقة
خصائصها ومشكلاتها

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

يتعرض هذا الكتاب للمراهقة من حيث طبيعة هذه المرحلة الهامة فى حياة الانسان ، ومن حيث المشكلات الأساسية التى تواجههم وتقف حجر عثرة فى طريق تقدمهم ونجاحهم .

وقد اخترت هذا الموضوع ، لأنهم – أعنى المراهقين – كثيرا ما يسألون عن مسائل وموضوعات تتصل بهم من قريب أو بعيد . ولا يتلقون ردا عليها . أو يتلقون ردا سريعا ناقصا ، لضيق الوقت أو لغير ذلك من الاسباب . ولا تتاح الفرصة كاملة للتوضيح . إلا من خلال هذا النوع من الكتب التى تعالج قضايا هذه المرحلة وتوضح الحقائق المتصلة بها وتتناول المشكلات الأساسية الهامة التى تعترض حياة ابنائنا خلالها :

ومما يشجع أيضا على تناول هذا الموضوع ، ان مشاكل المراهقين والشباب أصبحت هى مشاكل العالم أجمع ، بل أصبحت هى الوجه الذى يقابل الناس عند زيارتهم لكثير من بلدان العالم . هى الوجه المعبر مثلا عن الحالة التى تعانى منها أوربا ، عندما يرى الزائر لكثير من بلدان هذه القارة حالة الضياع التى يعيشها شبابها والحياة الفكرية المستحدثة التى يحيونها ، والتى تعبر تعبيرا صادقا عن عدم استقرارهم وشعورهم بتفاهة الحياة التى يعيشونها .

حقا ان الصورة تختلف عندنا كثيرا ، لإختلاف ظروفنا ،وطبيعةحياتنا، ونوع عاداتنا وتقاليدنا ، ونوع القيم التى ندين بها ، وغير ذلك من العوامل التى تؤثر من غير شك فى شبابنا ، وتحدد نوع المشاكل التى يعانون منها .

إلا أنها على أى حال فى حاجة ماسة إلى التوضيح وإلى تناول جوانبها المختلفة بالدراسة ، وعلاج قضاياها ومشكلاتها العديدة المتنوعة .

والآن ماذا نقصد بالمراهقة ؟ يكاد تتفق جمهور المهتمين بهذا الموضوع على أن هذه المرحلة من حياة الانسان تبدأ مع بداية البلوغ الجنسى لكلا الجنسين وتنتهى بسن الرشد ، عندما تكتمل خصائص الفرد فى كافة مظاهر شخصيته بنهاية سن الخامسة والعشرين . وتمتد عند بعضهم إلى سن الثلاثين . أو بمعنى آخر أنها تستغرق فترة المراهقة والفترة التالية لها والقريبة منها والتى تأخذ طابعها فى أغلبية الأحوال والتى لها طبيعة خصائصها ومشاكلها .

والمراهقون اذ يقبلون على هذه الفترة من حياتهم .. إنما يقبلون على فترة جديدة تختلف عما سبقتها . فهم يتركون خلفهم طفولة ضعيفة تعتمد إعتمادا كاملا على الأباء والأمهات فى كل شئون حياتها .. ليستقبلوا مرحلة رجولة أو أنوثة قوية فتية تتطلع إلى متطلبات جديدة . فخلال هذه الفترة يتأثر الشاب فتى أو فتاة فى تفكيره وأحلامه وآماله .. بل وآلامه ، بما ينتظره أو يتوقعه فى المستقبل وقد لا تتوافق الظروف لتهيىء للمراهق ما يريده ويحلم به ، أو قد يقف الأب والأم أو يقف المجتمع بتقاليده وإتجاهاته ونوع القيم التى تسوده... فى سبيل بعض هذه الأحلام والآمال .. أو فى سبيلها كلها . أو قد تكون قدرات المراهق وإمكانياته وظروفه الخاصة هى الحائل بينه وبين تحقيق هذه الآمال والمتطلبات . ومن هنا تأتى أسباب الهزات والإضطرابات التى تصيبه وتفقده الثقة بنفسه .

ومن هنا أيضا تأتى أهمية معاونة المراهق الصغير معاونة مبنية على الفهم الكامل لطبيعة المرحلة التى يمر بها ومتطلباتها وحاجات الشاب وآماله . ومبنية

على المشاركة الإيجابية لإيجاد الحلول لهذه المتطلبات والآمال ، ومساعدته على التعرف على إمكانياته الطبيعية وظروفه الخاصة حتى يجتاز هذه المرحلة إجتيازا يقوى ثقته بنفسه وبمن حوله . وعند هذه النقطة نحن نفترض أن مشكلات المراهقين ليست دائما هى مشكلاتهم وحدهم ، وإنما فى كثير من الاحوال هى مشكلات الكبار الذين يحيطون بالمراهقين ويضيقون ذرعا بأفكارهم ، ولا يحاولون تفهم هذه الأفكار ، أو التعرف على نزعات الشباب الحقيقية ، ولا يشاركونهم أو يساعدونهم على تفهمها وإيجاد حلول سليمة لها .

فاذا أضفنا إلى هذه المجموعة من العوامل أن هذه الفترة من حياة الانسان فترة عنيفة تتفجر فيها طاقات حيوية جديدة تشمل كافة نواحيه الجسمية والعقلية والإنفعالية والإجتماعية . فثمة تغيرات جسمية عديدة تطرأ عليه . وهى ليست تغيرات هادئة مستكينة ، وإنما هى تغيرات متمردة لها متطلباتها التى كثيرا ما تلقى المعارضة . هناك مثلا الرغبات الجنسية التى تظهر وتلح بشدة تبغى الاشباع . وهناك أيضا قوى الشاب العقلية التى تأخذ فى النمو بشكل واضح وتطرق ميادين جديدة متفتحة ، فينمو ذكاؤه وتزداد وتقوى قدرته على التفكير ، ويصبح أكثر قدرة على الجدل والمحاورة فلا يسلم ببساطة بكل ما يلقى اليه ، كما كان يفعل وهو طفل . وتأخذ هذه الرغبة فى المعرفة والجدل طابعا حادا شأن غيرها من النواحى التى يتطرق اليها المراهقين . وتحدث أيضا تغيرات إنفعالية كثيرة يصحبها عدد من الصراعات النفسية ، منها ما يرجع إلى التغيرات التى طرأت على جسم الشاب والتى يصحبها فى العادة تغيرات نفسية أساسية تنتج عن قلق المراهق وحساسيته بالنسبة لها . ومنها ما ينتج عن اعتداد المراهق بذاته ، ومحاولته التحرر من التبعية الطفلية والخضوع لأوامر

الأبوين وسلطة الكبار عموما .. إلى غير ذلك من التغيرات الإنفعالية والإجتماعية التى سنعود إليها بالتفصيل فيما يلى من أجزاء هذا الكتاب .

هذه الصورة السريعة لطبيعة المراهق ومتطلبات حياته ، تضع أمامنا عددا من الموضوعات ذات الأهمية الخاصة التى لابد من تحديدها والتعرف على جوانبها المختلفة .

فنحن فى حاجة مثلا للتعرف على كل ما يتصل بالمراهق وبطبيعة المرحلة التى يمر بها .. وبالحقائق الأساسية الخاصة بنموه .. وما يطرأ عليه من تغيرات نتيجة هذا النمو ، وخاصة تلك التغيرات التى يهتم بها ويركز حولها .. والتى تؤثر فى سلوكه بوجه عام .

ونحن فى حاجة أيضا لدراسة المشكلات التى تؤثر فى هذا النمو والتى تعوق سيره الطبيعى .. وكيفية علاجها .. ومعاملة الشاب على ضوئها .. حتى يجتاز هذه المرحلة .. ويشق طريقه فى الحياة بنجاح .

والمشكلات التى تعترض المراهقين تختلف حسب ظروف المراهق وحسب الواقع الذى يعيشه . ولذلك فعلاجها ليس موضوعا أكاديميا يمكن ان نعالج مادته علاجا نظريا ، وانما لابد من أن ننزل إلى أرض الواقع ، لنرى المشاكل على الطبيعة وكيف يواجهها المراهق فى بلادنا . ولندرس وجهات نظرنا نحن الكبار أيضا وكيف نواجه هذه المشكلات ، ولنتعرف طريقنا نحوها .. لنصل معاإلى الطريق السوى لعلاجها وتخليص أبنائنا من آثارها.

هذه ناحية أساسية إذا أردنا حقا ان يستمع المراهقون لنا ، وان يضعوا أيديهم فى أيدينا لنواجه معا هذه المشكلات .

ويعطى الكتاب هذه الناحية أهمية خاصة . فهو لا يعالج قضايا نظرية ،

وإنما يعالج واقعا يعيشه المراهقون - بكل ما يتضمنه هذا الواقع من قيم وتقاليد وعادات . ويتناول حياة المراهق ومشكلاته على هذا الأساس .

وإذا كانت مادة هذا الكتاب أساسية للآباء والأبناء من المراهقين والشباب وكل من له صلة بهذه الفئة من أبنائنا ، فان له أهمية خاصة للمعلم الذى يتعامل مع عدد كبير من ابنائنا المراهقين ، والذى يصبح بالتالى فى حاجة أكثر إلى التعرف الكامل على خصائصهم والمشكلات التى يعانون منها حتى يكـــون تعامله معهم على أساس من المعرفة السليمة لهذه الخصائص وطبيعة هـــذه المشكلات ، وعلى أساس الإلمام بكل ما يمر بحياتهم ووسائل توجيه هـــذه الحياة توجيها سليما .

ويشتمل الكتاب بهذا الشكل على قسمين أساسيين :

الاول : ويختص بتوضيح خصاص رحلة المراهقة ومظاهر النمو المختلفة التى تطرأ على المراهق خلالها .

الثانى : ويختص بمشكلات المراهقة . ويعالج هذا القسم ثلاثة أنواع من المشكلات التى تعترض حياة المراهقين وتمثل نواحى إهتماماتهم الأساسية ، وهى مشكلات الجنس والزواج وإختيار المهنة ، وأوقات الفراغ وهى الأركان الثلاث الرئيسية فى حياة المراهق حياتهم الجنسية .. والعملية .. وحياتهم فى أوقات الفراغ .

والله أدعو أن يحقق هذا الكتاب الغرض منه كاملا وأن يساعد المراهقين من أبنائنا على فهم أنفسهم وطبيعة مشاكلهم ، والأباء والمعلمين أيضا على طبيعة هذه المرحلة الحساسة التى يمر بها ابناؤهم وتلاميذهم ، وينير الطريق نحو حسن التعامل معهم ، ومعالجة قضاياهم ومشاكلهم .

وهو ولى التوفيـــق .

دكتور ابراهيم وجيه

القسم الاول

خصائص المراهقة

تمهيـــد

المراهقة هى الفترة التى تلى الطفولة ، وتقع بين البلوغ الجنسى وسن الرشد . وفيها يعترى الفرد .. فتى أو فتاة .. تغيرات أساسية واضطرابات شديدة فى جميع جوانب نموه الجسمى والعقلى والإجتماعى والإنفعالى . وينتج عن هذه التغيرات والاضطرابات مشكلات كثيرة متعددة تحتاج إلى توجيه وإرشاد من الكبار المحيطين بالمراهق .. سواء الأبوين أو المدرسين أو غيرهم من المحتكين والمتصلين به .. حتى يتمكن من التغلب على هذه المشكلات ، وحتى يسير نموه فى طريقه الطبيعى .

ونتيجة لهذا تصبح صورة المراهق غير صورة الطفل .. حتى لتـــكاد نعتبرها مرحلة ميلاد جديد ، فهناك مثلا أجهزة فى جسمه تنشط لأول مرة فى حياته . الجهاز التناسلى مثلا الذى تبدأ إفرازاته .. والذى يبدأ يؤدى وظيفته فى هذه المرحلة وهناك عدد من التغيرات الإنفعالية التى تجعل صورة المراهق كصورة الطفل الصغير ، الذى يغضب لأقل بادرة وينفجر ويصخب تماما كالطفل إذا أغضبته ، فأنه يرتمى على الأرض أو يقذفك بشىء .. أو نحو ذلك من التصرفات ذات الخصائص الإنفعالية الحادة .

وهناك تغيرات أساسية فى النمو الإجتماعى للمراهق وفى علاقاته الإجتماعية بصفة عامة ، تجعله يأخذ صورة أخرى جديدة تختلف عن صورته فى مرحلة الطفولة المتأخرة .. صورة الطفل الصغير المحب للبيت ولزيارات الأهل .. المحب لجلسات الأب والأم ، والاستماع لمناقشاتهما وكلامهما .. المحب لصحبة الأبوين والأهل فى جميع الأحوال . فتأخذ هذه الصورة صورة أخرى ..

فالمراهق لا يرغب فى البيت بالمرة .. ولا يرغب فى صحبة الأهل ، وإنما يرغب فى علاقات جديدة .. يرغب فى مجموعة الشباب الذين من مثل سنه .. يحب الخروج معهم ، ويرغب فى صحبتهم .. إلى غير ذلك من مظاهر التغير فى النمو الإجتماعى التى تخرجه عن صورة الطفل المنصت المطايع المحب للبيت وأهل البيت .. التى كان عليها .

وهناك تفتح جديد أيضا فى قوى المراهق العقلية ، فينمو ذكاؤه بشكل حاد ، ويأخذ تفكيره طابعا غير الطابع الذى كان عليه فى المراحل السابقة .. أو بمعنى آخر يبدو لنا المراهق بصورة غير التى كان عليها ، وتبدو تصرفاته فى نظر الكبار تصرفات غريبة لم يألفوها عندما كان طفلا هادئا وديعا .

وتبدأ مرحلة المراهقة فى العادة فى الثالثة عشرة وتنتهى فى الثامنة عشرة (قد تمتد إلى الواحدة والعشرين) وان إختلفت هذه السنوات قليلا تبعا لعدد من العوامل . فهى تختلف بالنسبة لطبيعة الفرد نفسه وتكوينه الجسمى ، اذ تبدأ مرحلة المراهقة مبكرة نسبيا عند ذوى الأجسام الصحيحة والبنية القوية بينما يتأخر بلوغ ضعاف الصحة .. هزال الأجسام . وتختلف أيضا بالنسبة لنوع الجنس ، فهى تبدأ مبكرة قليلا عند البنات وتنتهى مبكرة كذلك بالنسبة لهن . والعوامل البيئية بدورها لها تأثيرها على النضج الجنسى ، كنظام التغذية الذى يسير عليه المراهق ، والظروف الصحية التى يتعرض لها ، وطبيعة الجو الذى يعيش فيه .. إلى غير ذلك . كما ثبت أيضا أن الظروف المناخية لها تأثيرها بدورها على الاسراع ببدء البلوغ أو تأخره فشعوب المناطق الحارة أسرع فى البلوغ من شعوب المناطق الباردة ... وهكذا .

وتعتبر مرحلة المراهقة من أدق وأهم المراحل التى يمر بها الانسان ، ذلك

لأنها هى المرحلة التى يتحول خلالها الفرد من طفل غير كامل النمو إلى بالغ ناضج . والتغيرات التى تحدث للمراهق أثناءها لا تقتصر على جانب أو بعض جوانب شخصيته وإنما تشملها جميعها .. كما أنها مرحلة طويلة نسبياً .

أضف إلى ذلك أن هذه المرحلة بما يصاحبها من تغيرات جسمية وإنفعالية وإجتماعية وغيرها ، يكون لها مطالب وحاجات يتطلع المراهق إلى تحقيقها واشباعها ، وقد يقف المجتمع بتقاليده وعاداته ضد تحقيق هذه المطالب والحاجات مما يصدم المراهق ويوقعه فى صراع بين الرغبة فى تحقيقها وبين قيود المجتمع وحدوده . ونتيجة هذا كله أن تصبح هذه المرحلة معقدة كثيرة المشكلات . ولاشك ان للمجتمع تأثيره الكبير فى مدى تعقيد هذه المرحلة تبعا لنوع التربية والتقاليد والعادات السائدة فيه ، ومدى توافقها مع متطلبات وحاجات هذه المرحلة أو وقوفها حجر عثرة فى سبيل هذه المتطلبات والحاجات.

وإذا كانت هذه الصورة العامة للمراهقة تجعل منها مرحلة ذات حساسية، فان لها فى مجتمعنا وضعها الخاص وأهميتها الكبيرة . وفيما يتصل بهذا الموضوع هناك ثلاثة عوامل أساسية لها تأثيرها البالغ بالنسبة للمراهقة فى مجتمعنا :

الأول : أن هذه المرحلة تبدأ مبكرة فى بلادنا اذا قورنت بالبلاد والشعوب الأخرى . وهذا معناه ان الميول الجنسية ، ورغبة المراهق فى الأشباع الجنسى تظهر فى وقت مبكر . والطريق الوحيد الذى نسمح به ، ونوافق عليه ، ونرضاه لأبنائنا ، لأشباع هذه الميول هو طريق الزواج . وهو مالا يستطيعه المراهق لأسباب كثيرة . منها عدم قدرته على الاستقلال الاقتصادى ، وعدم وصوله إلى درجة من النضج العاطفى والإجتماعى تيسر له فى ظروف مجتمعنا

المعاصر أن يكون رب أسرة مسئول ، يمكن أن نعتمد عليه فى تربية أطفاله .. إلى غير ذلك من الأسباب الاقتصادية والإجتماعية. والنتيجة أن يلجأ المراهق — إذا لم يجد التوجيه السليم — إلى طرق الأشباع الجنسى الغير سليمة أو غير ذلك من مظاهر الإنحراف ، وفى ذلك ما فيه من ضرر بالنسبة لصحة الفرد النفسية وتكوينه بصفة عامة .

الثانى : والعامل الثانى الذى يلعب دورا أساسيافى حياة المراهقين والشباب ، وله اثره بالنسبة لكثير من المشكلات التى يتعرضون لها ، هو العامل الناتج من إختلاف وجهة نظر الأباء والأبناء بالنسبة لكثير من عادات الجماعة وتقاليدها وظروفها العامة . خاصة وأن مجموعة شعوبنا العربية تمر بفترة صراع بين التقاليد والعادات التى عشنا عليها زمنا ، والتى تتمثل فى تقاليد آبائناوعاداتنا الشرقية والعربية، ونوع القيم التى جاء بها ديننا السمح الكريم وتراثنا العربى الأصيل، وبين التقاليد والعادات والقيم التى تأتى الينا من الخارج ، والتى تحاول أن تجذب أبناءنا من المراهقين والشباب إلى تيارها الدافق السريع . وهذا له تأثيره من ناحية وجهة نظر الآباء والكبــار عموما إلى كثير من الأمور التى يتعرض لها المراهقون والشباب .

فأبناؤنا ليسوا صورة منا ،تسير فى فلك الأسرة وعادات الأسرة. وإنما هم يعيشون ظروفا جديدة .. فهم يذهبون الآن إلى الخــارج ويعيشون هناك أحيانا — فترات من حياتهم تمتد إلى أعوام طويلة يقضونها فى بلاد غريبة ، لها أوضاعها وتقاليدها الخاصة التى تختلف عن أوضاعنا وتقاليدنا ، ويتأثرون بما يحدث هناك .

ويرجعون الينا بما انطبع فى نفوسهم وبما تأثرت به شخصياتهم . منهم من ينحرف تماما ، ومنهم من يرجع ناقما ، ومنهم من يتحفظ ، ومنهم من يكتسب من عادات القوم وإتجاهاتهم وقيمهم بعضها دون البعض . ولكنهم جميعا — على أية حال — يتأثرون بما يحدث هناك .

والصلة بين هنا وهناك لم تصبح بعيدة ، ولذلك فيندر من بين المراهقين من لم يحتك بما يحدث فى الخارج بصورة أو بأخرى . ان لم يكن بالذهاب إلى هناك والاتصال المباشر ، فعن طريق وسائل أخرى كالاستماع إلى الأصدقاء أو عن طريق وسائل النشر المختلفة من كتب ومجلات وإذاعة وسينما ... وغيرها .

ونتيجة لهذا ، أصبح المراهقون من ابنائنا غير بعيدين عما يحدث بالخارج وعن التيارات الغربية التى تتجاذب الشباب هناك ، والتى يقعون فى دوامة من المشاكل نتيجتها . ولهذا تأثيره فى الخلافات التى تنشأ بين الأباء والأبناء ، وفى وجهات النظر المتضاربة بينهم .

فبينما يحاول بعض المراهقين الاستفادة من مبادىء حرية الاختلاط مثلا التى تمنحهم إياها تيارات الحضارة الغربية نجد التحفظ والتمسك بالتقاليد هو النمط العام لمعاملتنا لأبنائنا من المراهقين والشباب . خاصة وأن الأبوين ينظران فى العادة إلى المراهق الصغير — فتى أو فتاة — على أنه لازال ابنهما الذى يعتمد عليهما فى معيشته وفى كل اموره المادية والإجتماعية ، وليس له بالتالى أن يخرج عن الأطار العام للعادات والإتجاهات والقيم الذى يعيشون فيه .

ولكن يجب الا يفهم من ذلك أن تمسك المراهقين بوجهات نظرهم فى المسائل التى تتعرض لحريتهم الشخصية ورغباتهم الخاصة ، لا يأخذ على الدوام شكلا ثابتا . بل كثيرا ما تتغير وجهات النظر هذه من موقف إلى آخر . فالمراهق مثلا الذى يرى فى الأختلاط بين الجنسين مظهراً من مظاهر الحياة الحديثة ، والذى يدافع عن وجهات النظر الخاصة بالحرية الكاملة بين الجنسين .. هذا المراهق نفسه إذا سألته هل يسمح بهذا النوع من الحرية والأختلاط لأختـــه أو لأمه لتراجع على الفور . وهذا معناه أن نوع العادات والتقاليد التى يأخذ بها هذا المراهق غير مستقرة ، وأن الخط العام لتفكيره ليس له معيار ثابت ، وأن كل رأى من آرائه ابن وقته . وهى الصورة التى نلاحظها على كثير من الشباب فى مناقشاتهم وتصرفاتهم فبينما نراهم يتمسكون بوجهة نظر معينة اليوم ، نجدهم يأخذون الوجهة المضادة فى الغد ... وهكذا .

هذه الصورة تجعلنا أكثر إيمانا بضرورة بذل الجهود نحو توجيه ابنائنا من المراهقين توجيها سليما . ومناقشتهم مناقشة حرة واعية مدركة للتيارات والإتجاهات والأفكار العالمية ونوع القيم والمبادىء السائدة ، وموقفنا من كل منها ، ولماذا نتخذ هذا الموقف . وان نخضع تفكيرنا معهم ومناقشاتنا للواقع الموضوعى كما يتمثل فى مجموعة ظروفنا وأحوالنا ، وأحكام ديننا ، حتى يتبين الشباب حقيقتها ، وحتى يستقيم به الطريق .

الثالث : هو نوع التربية التى نربى عليها ابنائنا . فنحن ومنذ باكورة حياة أبنائنا ، لا نعطى لهم الفرصة للأخذ والعطاء والمناقشة أو الإشتراك

فى تصريف أمورهم وحياتهم الخاصة وتحمل بعض المسئوليات بالقدر الذى يسمح به سنهم . وإنما هناك بإستمرار الأوامر التى يجب أن تنفذ ، وهناك الطاعة الواجبة .

والنتيجة أن تصبح حياة الطفل حياة استسلام تام . لا يفكر لنفسه الذى يفكر له هما أبواه ، ولا يختار شيئا ، وإنما الذى يختار هو الأب أو هى الأم . ومن ثم فهو يتطلع بإستمرار إلى أبويه يسألها ويتقبل أجاباتها . يطرح عليهما متاعبه ومشاكله ليتولوا عنه مجابهتها والوصول إلى حل بالنسبه لها .

فاذا وصل الطفل إلى مرحلة المراهقة ، تغير الحال ، فالمراهق ، لا يمكنه تقبل هذا الوضع ،ولا يرضاه لنفسه.لأنه فى نظر نفسه على الأقل ، أصبح كبيرا له حياته الخاصة وتطلعاته الخاصة ، وله فكره المستقل . وتصبح صورته من ثم أمام الأبوين غير صورته وهو طفل .. صورة غريبة لم يتعودوا عليها . صورة انسان يريد أن يستقل بنفسه ويفكر لنفسه صورة انسان يرى نفسه ندا للكبار، ويرغب فى أن يعامل على قدم المساواة كما يعامل الكبار . بل وفى بعض الأحيان يرى نفسه أكثر تطورا وأكثر فهما منهم لمجريات الأمور . وهو لهذا لا يسألهم كما كان يسألهم من قبل ، ولا يتقبل تدخلهم فى أموره الخاصة كما كانوا يتدخلون فى أموره وهو طفل . ولا يطرح عليهم مشاكله ، بالقدر الذى ينتقد هو تفكيرهم فى هذه المشاكل والطريقة التى يعالجونها بها .

ويصعب على الأباء فى أغلب الأوقات تقبل هذا الوضع ، أو

تقبل هذه الصورة . لأنهم لا يستطيعون تصور ابنهم على غير صورته أيام الطفولة .. الصورة التى تعودوا عليها .. صورة الأبن المطيع الذى يستمع لكلماتهم ويعمل بها من غير مناقشة والـــذى يتقبل تماما كل ما يريدون .

وهذا هو سر الخلافات العديدةالتى تنشأ داخل الأسرة بين الآباء وابنائهم من المراهقين ، وسر الثورة المستمرة التى نلاحظها على ابنائنا منهم . وبالتالى أحد العوامل الأساسية التى تلعب دوراً كبيراً فى حياة ابنائنا من المراهقين والشباب .

كل هذه العوامل تعطى لمرحلة المراهقة أهميتها الخاصة وتجعل من المفيد دراستها والتعرف على خصائصها المختلفة .

ونتعرض فيما يلى لأهم هذه الخصائص من حيث :

١ ــ النمو الجسمى .

٢ ــ النمو العقلى .

٣ ــ النمو الإنفعالى .

٤ ــ النمو الإجتماعى .

وهى النواحى التى نتعرض لها فى الفصول التالية .

الفصل الأول

النمو الجسمي

كثيراً ما يهتم الذين يعالجون موضوع المراهقة ومظاهر النمو التى تبدو على المراهقين بالنمو الجسمى بالذات ، على أنه المظهر الرئيسى ومحور الإهتمام فى هذه المرحلة .

والنشاط الجنسى وإن كان يبدو واضحاً حقيقة فى هذه المرحلة ، وتبدأ إفرازات الجهاز التناسلى وقيام هذا الجهاز بوظيفته الكاملة خلالها ، إلا أن هذا النشاط لا يعدو أن يكون نقطة إنطلاق نحو نضج شخصية المراهق بكاملها، وظهوره بمظهر الرجولة أو الأنوثة الكاملة .

وأهم مظاهر التغير الجنسى هو نضج الأعضاء التناسلية عند الذكر والأنثى وكبر حجمها . فهذه الأعضاء تكون صغيرة الحجم فى مرحلة الطفولة ولا تقوم بوظيفتها الطبيعية من إفراز الحيوانات المنوية والبويضات . وعندما يصل الفتى والفتاة إلى سن البلوغ تطرأ على هذه الأعضاء زيادة واضحة فى الحجم كما تبدأ فى الإفراز .

والعلامة التى يستدل بها على نضج الجهاز التناسلى عند الفتاة وبدء عمله وقيامه بوظيفته هو ظهور الحيض (أو العادة الشهرية) لأول مرة . والاحتلام (ظهور المنى عند النوم) عند الفتى . وتظهر هذه العلامات فى الغالب فيما بين سن الثانية عشرة والخامسة عشرة للبنات . والثالثة عشرة والسادسة عشرة للبنين .

وظهور دم الحيض لأول مرة يمكن تحديد وقته وتعرفه الفتاة تماماً ، أما

الاحتلام فلا يمكن بالضبط معرفة وقت حدوثه لأول مرة . ولذلك يستدل على بدء مراهقة الفتى بمجموعة التغيرات التى تطرأ على الفتى فى جملتها ومنها الاحتلام .

ومن التغيرات الجسمية المميزة للمراهقة ، بدء ظهور الشعر فى أجزاء مختلفة من الجسم . فينمو الشعر حول الأعضاء التناسلية وتحت الإبطين عند الفتى والفتاة . كما ينمو شعر الذقن والشارب عند الفتى ... إلى غير ذلك .

أما التغيرات التى تطرأ على حجم الجسم ، فتبدو واضحة فى زيادة الطول زيادة مفاجئة وكذلك فى الوزن ، وفى طول الذراعين والساقين واتساع الكتفين وحجم اليدين والقدمين . وتضخم بعض أجزاء الجسم الأخرى وبصفة خاصة صدر الفتاة .

ويبدأ هذا النمو السريع فى العادة قبل البلوغ ، ويستمر لمدة عامين أو ثلاثة أعوام ، ثم يبطىء بعد ذلك ويقف تماماً ما بين الثامنة عشرة والحادية والعشرين .

ويأخذ نتيجته فى النهاية جسم الفتى شكل الرجل،والفتاة شكل جسم المرأة.

وينتج من هذا النمو الجسمى السريع عدد من التغيرات والإهتمامات الشخصية المقابلة . فالمراهق شديد الاهتمام والاعتداد بالنمو الطارىء على جسمه فى الطول . ولذلك تجده يقيس نفسه يوماً بعد يوم ، ويقارن طوله بطول الآخرين . وهو شديد الاهتمام أيضاً بالتغيرات المصاحبة من نمو شعر الذقن وشعر الشارب وغير ذلك من المظاهر التى تنقله من شكل الطفل إلى شكل الرجل .. شديد الاعتداد والإعجاب بنفسه ، يقف أمام المرأة وقتا

طويلا يتأمل نفسه ، ويعدل من مظاهر شعره .. كثير العناية بملابسه ويتحرى أن تكون من أحدث طراز بإستمرار .

وتزيد من هذه الاهتمامات رغبته فى أن يبدو أمام اصحابه ، وأمام الجنس الآخر بالذات فى أبهى صورة .

وبالمثل تبدى الفتاة نفس الاهتمامات ، ان لم يكن أكثر بمظهرها الانثوى الجديد .

والأباء يشعرون بدورهم بهذه التغيرات الطارئة على أبنائهم ويلاحقونها بصعوبة . فالحذاء الذى يشترى للشاب اليوم يضيق على قدميه بعد شهور ، والملابس الجديدة لا تلبث أن تحتاج إلى زيادة فى الطول بعد فترة وجيزة . وما يصلح للشاب هذا العام لابد من طرحه وشراء بدلا عنه فى العام الجديد .. وهكذا .

والشاب الذى كانوا يتعاملون معه بلا حرج فيما سبق ، يخلعون أمامه ملابسهم ،أو يسمحون له بخلع ملابسه أمامهم ،أو يساعدونه عند الاستحمام .. أو نحو ذلك من التصرفات .. أصبح كالغريب بالنسبة لهم ، وأصبحت هذه التصرفات تحدث بمنأى عن عينيه وعن أعينهم .

وبالاضافة إلى هذه التغييرات والتصرفات التى ترتبط بالنمو الجسمى السريع خلال مرحلة المراهقة ، والتى تطبع هذه المرحلة بطابع خاص يميزها عن غيرها ، فان النمو الجسمى السريع يكون أيضا على حساب صحة المراهق ونشاطه وحيويته بصفة عامة .

فالمراهق يشعر بالتعب بعد أقل مجهود . فاذا صعد السلم مثلا زاد خفقان قلبه وتسارعت أنفاسه ، يميل إلى الكسل والخمول .. بطىء الحركة .. الخ .

وإذا قارنا هذه الاوضاع بما كان يحدث منه وهو طفل نجد ال[illegible] .
فالطفل لا يمل ولا يتعب حتى ولو قضى ساعات فى اللعب والجر[illegible] . يصعد السلم وينزله عشرات المرات بدون أدنى شكوى . ذلك أن نمو الطفل يسير بخطوات معتدلة بطيئة ، اذا قورن بالقفزات السريعة التى يمر بها نمو المراهق وخاصة فى السنوات الأولى من مرحلة المراهقة . وهذه الطاقة الموجهة للنمو تكون على حساب صحة المراهق العامة ، ولهذا السبب تكثر الاصابة بأمراض الضعف العام فى هذه السنوات ، فتزداد نسبة المصابين بالانيميا وبمرض السل عنها فى سنوات العمر الاخرى ، وتقل هذه النسبة بالتدريج بتقدم المراهق فى العمر ... وهكذا..

ويصحب هذه التغيرات فى النمو الجسمى أيضا تغيرات نفسية أساسية . تنتج عن حساسية المراهق بالنسبة لما يطرأ على جسمه من تغيرات وخوفه أن يكون مختلفا عن الآخرين . ولذلك نجده يهتم بما يطرأ على جسمه ويتنبه له ويقارن ما يحدث له بما يحدث للآخرين . ويظل فى خوف وشك إذا صعبت عليه المقارنة أو صعب عليه السؤال ، خاصة اذا كان السؤال يتصل بأعضائه التناسلية وقيامها بوظيفتها .. وهى ناحية يوليها المراهق أهمية خاصة . ولنا عودة إلى هذا الموضوع عند الكلام عن النمو الإنفعالى فى هذه المرحلة ، وعند مناقشة موضوع الجنس والمشكلة الجنسية عند المراهقين .

والمراهق شديد الحساسية أيضا بالنسبة لبعض التغيرات التى تظهر للعيان. فنجد الفتى يخجل مثلا من القراءة بصوت مرتفع أمام الآخرين ، نظرا لما طرأ على صوته من تضخم .. ونجده يتحدث بصوت أقرب إلى الهمس حتى يخفى خجله . ونجد الفتاة تخجل من التغيرات التى تظهر على جسمها وتحيله من شكل أقرب إلى شكل الصبى .. إلى شكل الانثى الكاملة . ولذلك تبتعد عن

الحركات التي تظهر التغيرات الجديدة كالقفز أو الجرى وتخجل ، ويحمر وجهها اذا اضطرت إلى ذلك .

وتضيق الفتاة أيضا بالشعر الذى يأخذ فى النمو على بعض الاجزاء الظاهرة من جسمها . وتحاول ازالته أو إخفائه ، وتلجأ إلى مختلف الطرق التى تساعدها على ذلك . وكذلك تحاول جاهدة أن تخفى عن حولها كل ما يتعلق بالعـادة الشهرية ،وتعتبرها من الاشياء السرية التى لا يجب أن يعرفها عنها الآخرون. فتغسل ملابسها الداخلية سرا بعيداً عن أعين أفراد الأسرة ، وتعتذر عن عدم تأديتها لفريضة الصلاة بأعذار مختلفة ، وتفطر فى رمضان سرا أو حتى تصوم مع بقية أفراد الأسرة حتى لا تضطر للأدلاء بسبب أفطارها .

وحب الشباب ، الذى يكثر ظهوره فى هذه المرحلة ، وما يؤدى اليه من تشويه منظر الوجه يعتبر من المسائل شديدة التأثير على المراهقين . ولذلك يكثر المصابون به من غسل وجوههم والتردد على المرآة بإستمرار لملاحظة تأثيره على منظرهم العام ، وإستخدام الأدوية وطرق العلاج المختلفة .. الخ ، ويصابون بتعاسة كبيرة كلما لاحظوا أن الطرق والادوية التى يستخدمونها لا تؤدى إلى علاج الحالة .

وظهور حب الشباب فى هذه السن يرتبط بالتغيرات الفسيولوجية التى تطرأ على جسم الشاب وتؤثر على جميع أجهزته وتؤثر أيضا على نشاط الغدد المختلفة ومنها الغدد الدهنية والعرقية . فيزداد إفراز هذه الغدد الأخيرة وخاصة فى منطقة الوجه وتؤدى زيادة إفرازها إلى سد المسام ، فلا يستطيع التخلص من العرق بدرجة كافية . ونتيجة ذلك هى ظهور بثرات حب الشباب .

ويساعد على ظهور هذه البثرات عدم العناية بالوجه وغسله ، مما يهيء

الفرصة لتلوث المسام المسدودة ، وأيضا الاكثار من تناول الأغذية النشوية والدهنية التى تضاعد بدورها على زيادة إفراز الغدد الدهنية والعرقية المسئولة عن هذه الحالة .

ولذلك ينصح بإستمرار بالعناية بالجسم والاهتمام بنوع غذائه ، حتى نطمئن إلى سلامة تكوينه وإلى نموه فى الطريق الصحيح . وحتى يطمئن المراهق فى الوقت نفسه ويتخلص من عوامل الخوف والقلق التى تنتابه بالنسبة للتغيرات والمشكلات التى تعترض طريق هذا النمو .

الفصل الثانى

النمو العقلى

أولا : الذكاء والقدرات الخاصة :

يكتمل فى هذه المرحلة التكوين العقلى للفرد بصفة عامة ، كما تظهر فيها القدرات الخاصة . فينمو الذكاء ، وهو القدرة العقلية الفطرية العامة ، نمواً مطرداً . ويقف هذا النمو عند سن معينة خلال هذه المرحلة .

وفى الحقيقة أن النمو العقلى لا يزداد بمقادير ثابتة خلال سنوات عمر الإنسان . وإنما يكون هذا النمو سريعاً فى السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل ثم يبطىء بالتدريج بعد ذلك .

وملاحظاتنا العامة لأطفالنا تؤيد هذه الحقيقة العلمية . فالطفل فى الخمس سنوات الأولى من حياته يكتسب أشياء كثيرة مثل تعلم اللغة ، ومعرفة الأعداد، وإكتساب أنماط عديدة من السلوك الاجتماعى ، والتكيف بصفة عامة مع الظروف المحيطة . وهى كلها أدلة على سرعة النمو العقلى للطفل خلال هذه الفترة . ثم يطرد النمو بالتدريج حتى يتوقف خلال مرحلة المراهقة .

ويختلف علماء النفس فى تحديدهم للسن التى يقف عندها الذكاء . فبينما يعتبر تيرمان فى تقنينه لإختبار بينيه للذكاء (تعديل سنة ١٩٣٧) سن ١٥ هو الحد الأعلى الذى يتوقف عنده الذكاء . نجد سن ٢٠ هو السن الذى توقفت عنده زيادة الذكاء فى الدراسات الخاصة بتقنين إختبار وكسلر للذكاء .

بيد أن أغلب الدراسات تميل إلى أن الذكاء يتوقف فى سن بين السادسة عشر والثامنة عشر . وهذا معناه أن الذكاء يصل إلى حده الأعلى خلال مرحلة المراهقة .

وبالإضافة إلى هذه النتيجة ، تدل الأبحاث الخاصة بالذكاء ، على أن الفروق الفردية فى هذه القدرة العامة ، تظهر بشكل واضح خلال مرحلة المراهقة . فيتميز ذكاء كل فرد عن ذكاء الآخرين . وهذا أمر يجب أن يتنبه إليه الآباء والمدرسون .

فالمدرس يمكنه أن يميز بين مجموعات من التلاميذ داخل الفصل من حيث قدراتهم العقلية العامة (من حيث الذكاء) . وتبعاً للتوزيع العادى للذكاء يكون أغلب التلاميذ عاديين (أو متوسطى الذكاء) وقريباً من العاديين . وتبرز قلة منهم ، بينما تتأخر قلة أخرى عنهم كذلك .

والمدرس يضع خطته عادة على أساس ما يستطيعه التلميذ العادى والقريب من العادى . ولكن إذا أراد مراعاة الفروق الفردية بين تلاميذ فصله حقاً ، فيجب أن تكون خطته مرنة بحيث تستوعب أيضاً الفئتين الأخيرتين . فمدرس الرياضيات مثلا . الذى يتضمن درسه عدداً من التمرينات يختارها على أساس أنها تناسب أغلبية التلاميذ ، يجب أن يضع فى اعتباره القلة المتفوقة التى تنتهى من هذه المسائل بسرعة ويكون أمامها فائض من الوقت تمضيه من غير عمل . فيعمل على أن تشمل خطة درسه عدداً آخر من التمرينات تناسب هذه الفئة المتفوقة ، يطلب منهم حلها بعد فراغهم من التمرينات العادية . أما الفئة الثالثة المتخلفة فيمكن أن يوجه لها عناية خاصة ، أثناء إنشغال بقية التلاميذ بحل التمرينات ، بأن يتابع حل ما يستطيعون حله منها فى حدود إمكانياتهم ومساعدتهم قدر الامكان . مع الأخذ فى الاعتبار أن مهمته ليست على أية حال هى الوصول بتلاميذه جميعهم إلى مستوى واحد ، وإنما الوصول بكل منهم إلى أقصى ما تؤهله قدرته العامة .

وهناك طرق أخرى يمكن أن يلجأ اليها المدرس لمواجهة الفروق الفردية فى الذكاء بين التلاميذ ، فعندما لا يستطيع المدرس داخل الفصل ، وأثناء حصص الدراسة العادية أن يوجه عناية كافية لبعض التلاميذ الذين يحتاجون جهدا خاصا ، ويجد أن طبيعة تدريس مادته لا تهيىء له الفرصة الكافية للعناية بالمتخلفين أثناء الحصة . فهنا قد يكون من الأفضل تقديم المعونة لهذه الفئة الأخيرة فى غير أوقات الحصص المقررة ، حيث يتوافر الوقت أمام المدرس للتعرف على نواحى الضعف وتوجيه التلميذ على ضوئها ومتابعة الجهد الذى يبذله للتغلب عليها . فضلا عن أن العلاقة الوثيقة التى تنمو بين التلميذ ومدرسه نتيجة هذا الاهتمام المشترك خارج الفصل يساعد فى الجهود المبذولة لتحسين تعلم التلميذ بصفة عامة .

وبالمثل يمكن أن يوجه المدرس (خارج الفصل) عناية خاصة أيضا للمتفوقين ، بتوجيههم نحو نواحى النشاط التى تساعد على قدح إستعداداتهم العقلية المتميزة . كأجراء البحوث الخاصة أو الاشتراك فى عمل المشروعات أو نحو ذلك من أوجه النشاط التى يكتسبون عن طريقها عددا من الخبرات والمهارات التى تمهد الطريق أمام ما يتوقع منهم من النجاح فى ميادين الدراسة أو البحث أو العمل التى ترتبط بالتفوق فى القدرة العقلية العامة .

وكما ذكرنا تتميز مرحلة المراهقة أيضا بظهور القدرات الخاصة مثل القدرة الموسيقية أو الميكانيكية أو الفنية .. الخ . وترتبط هذه القدرات بدورها بنجاح الفرد فى مهن معينة أو انواع معينة من الدراسة أو نحو ذلك من ميادين النشاط التى تعتمد على توافر قدرات خاصة محددة عند الفرد . مثل ارتباط القدرة الميكانيكية بميادين العمل الميكانيكى . فلا شك أن أعمال

الورش ومعالجة الأدوات الميكانيكية والآلات تعتمد على مجموعة من الصفات والخصائص التى تتطلبها طبيعة هذا النوع من العمل والتى تختلف عن القدرات التى تعتمد عليها أنواع العمل الاخرى . ومثل ارتباط القدرة الموسيقية بالنجاح فى الأعمال المتعلقة بهذا الميدان ، مثل العزف على الآلات الموسيقية والتلحين والتوزيع الموسيقى وغير ذلك مما يتصل بالعمل الموسيقى ... وهكذا .

ولأهمية الكشف عن هذه القدرات ، وتوجيه المراهق على ضوئها توجيها سليما ، سواء بالنسبة للدراسة أو لميادين العمل المختلفة يحسن أن نفرق بين معنى القدرة والاستعداد .

يعنى الاستعداد الحالة التى تدل على قدرة الفرد على إكتساب المعلومات أو المهارات فى ناحية معينة إذا أخذ التدريب المناسب ، بمعنى أن الانسان الذى لديه إستعداد خاص للعمل الميكانيكى ، فان هذا الاستعداد يظهر ويعمل كقدرة ميكانيكية إذا أتيحت له فرص التدريب فى هذا المجال المعين . والفرد الذى لديه إستعداد فنى للرسم ، يبقى إستعداده هذا فى صورة قدرة كامنة ولا تظهر نتيجته إلا إذا أتيحت لهذا الفرد فرصة التدريب على الرسم وفرصة التعلم فى هذا المجال الذى لديه إستعداد فيه .

نخلص من هذا بأن الاستعداد قدرة كامنة تظهر إذا أتيحت لها فرصة العمل والتدريب . وعلى ضوء هذا الفهم لطبيعة الاستعداد نتبين أهمية الإختبارات التى تقيسه فى التنبؤ بنجاح الفرد فى الميدان المهنى أو الدراسى الذى يرتبط به . فنتائج تطبيق إختبار الاستعداد الميكانيكى على مجموعة من الأفراد نريد أن نحدد من بينهم من يصلح للعمل الميكانيكى تدل على درجة توافر القدرة الكامنة التى تهيء لصاحبها النجاح إذا أتيحت له فرصة التدريب

والإحتكاك المباشر بهذا الميدان وتفيد بالتالى فى إختيار الافراد الذين يصلحون لهذا العمل .

ومن هنا تبدو أهمية الكشف عن هذه الاستعدادات ، واستخدامها فى توجيه الأفراد نحو أنواع المهن أو الدراسة التى تتفق مع درجةتوافرها عندهم. وهذه الامكانية لا تتاح قبل المراهقة، اذ يمكن فى هذه السن الكشف عنها وتحديد درجة توافرها وتوجيه المراهقين على أساس ذلك توجيها سليما.

وقد عنى علماء النفس بوضع عدد كبير من الإختبارات التى تقيس الاستعدادات الخاصة لأغلب الأعمال . كما إهتموا أيضا بوضع إختبارات عديدة تقيس إستعداد الطلبة للنجاح فى الدراسة بمراحلها وأنواعها المختلفة وخاصة الدراسات المهنية والفنية .

ثانياً : الوظائف العقلية العليـــا :

تكتمل فى هذه المرحلة أيضاً الوظائف العقلية العليا ، وتأخذ شكلا يميزها عن المراحل السابقة .

والانتباه هو أحد هذه الوظائف التى تزداد بشكل واضح خلال هذه المرحلة سواء بالنسبة لفترة الانتباه أو بالنسبة لدرجة صعوبة الموضوع الذى ينتبه إليه الفرد .

فقدرة الأطفال على الانتباه فى المراحل السابقة للمراهقة محدودة نسبياً ، فضلا عن أنهم لا يستطيعون الإلمام بالموضوعات التى ينتبهون إليها إلا إذا كانت هذه الموضوعات بسيطة — نسبياً أيضاً — وواضحة . أما فيما يختص بالمراهق فيلاحظ أن قدرته على الانتباه تزداد،فهو يستطيع أن ينتبهلموضوعات

طويلة ومعقدة ، كما أنه يستطيع الاستمرار فى الانتباه لموضوع معين (أو مجموعة معينة من الموضوعات وللعلاقات التى بينها) فترة زمنية أطول .

ويمكن أن نلاحظ نمو القدرة على الانتباه وتطورها ، بمقارنة قـــدرة المراهق على الانتباه بقدرة الأطفال الأصغر سناً . فبينما نجد طفل المدرسة الابتدائية مثلا لا يستطيع أن يركز إنتباهه أثناء الدرس طول وقت الحصة ، إذ سرعان ما يضيق بالدرس وبما يقوله المدرس ، ويبدأ فى الانتباه لموضوعات أخرى . كأن يتجاذب الحديث همساً مع الطفل الذى يجلس بجانبه أو يعاكسه أو نحو ذلك من التصرفات التى نلاحظها على تلاميذ المدرسة الإبتدائية ، وخاصة فى النصف الأخير من وقت الحصص المدرسية .. نجد المراهق أكثر قدرة على الانتباه وأكثر قدرة على التركيز لفترات أطول من الزمن . فهو يستطيع أن ينتبه لموضوع الدرس لفترة أطول ، ويستطيع أن يتابع ما يجريه المدرس أمامه من تجارب ، أو يشترك معه ومع غيره من التلاميذ أثناء الدرس فى مناقشة موضوعات عديدة طيلة وقت الحصة . بل ويستطيع أن يشارك فى ندوات عامة أو غير ذلك من أوجه النشاط المدرسى لساعات طويلة من الزمن .

وبالمثل أيضاً ، بينما نجد الطفل الصغير يضيق باللعبة بعد دقائق معدودة ويبحث عن غيرها ، ونجده يشترك مع غيره من الأطفال فى لعبة ما ثم يتركها أو يتشاجر معهم ، ولا يستطيع أن يركز إنتباهه للعبة معينة فترة طويلة من الزمن ، حتى لو كانت هذه اللعبة جديدة ولم يتحصل عليها إلا بصعوبة ، وحتى لو كان قد تشاجر من أجلها وحرمان أخيه منها من فترة وجيزة .. نجد المراهق يستطيع أن يشارك الآخرين ألعابهم وإهتماماتهم لفترة طويلة ،

فلا يضيق مثلا بالجلوس على شاطىء البحر لصيد السمك لساعات طويلة ، أو يضيق بممارسة هواية من هواياته الأخرى ، أو بمل مناقشة موضوع ما مع زملائه أو أصدقائه حتى يصل إلى رأى بالنسبة له .. وهكذا .

ولذلك ننصح الآباء والأمهات بإستمرار ، أن يتعاملوا مع أبنائهم على ضوء فهمهم لهذه القدرة النامية عندهم . فتهتم الأم مثلا بتنويع مجالات نشاط أطفالها أثناء لعبهم ، فتشركهم من وقت لآخر فى لعبة جماعية ، وتبدل من وضعهم أثناء اللعب كلما مر بعض الوقت، أو تلفت أنظارهم إلى لعبة جديدة . وهكذا ، حتى تتجدد فترات إنتباههم بتجدد مجالات النشاط التى يشتركون فيها .

وبالنسبة للمدرس — وخاصة فى المدرسة الابتدائية — ننصح أيضاً ألا يسير الدرس على وتيرة واحدة . بل يجب أن ينوع المدرس من طريقة معالجته لمادة الدرس . فإذا أهتم فى جزء منه بالشرح ، يحسن أن يغير فى الجزء الثانى من أسلوب العمل .. فيشرك تلاميذه فى المناقشة ، أو يطلب منهم قراءة بعض الموضوعات المتعلقة بالدرس ، أو عمل تطبيقات عليه أو نحو ذلك ، حتى تتجدد بالمثل فترات إنتباههم ... وهكذا .

وبالمثل تزداد أيضاً قدرة المراهق على التذكر . وتذكر المراهق يختلف بدوره عن تذكر الطفل فى المراحل السابقة . فالتذكر هنا — أعنى فى فترة المراهقة — يعتمد على الفهم ، عكس تذكر الأطفال فهو من النوع الآلى الذى يعتمد على ترديد الكلمات وحفظها حفظاً آلياً .

لاحظ مثلا الأطفال وهم يرددون الأناشيد التى يطلب منهم حفظها. ترديداً آلياً ، من غير فهم معنى هذه الأناشيد أو ما تتضمنه من كلمات

ولاحظ أيضاً حفظهم لآيات القرآن الكريم أو الأحاديث النبوية أو القطع الشعرية والنثرية التى يطالبون بحفظها ، وكيف يأخذ الواحد منهم يردد الجمل مرة بعد أخرى على نفس الوتيرة ، حتى تنتظم عنده فى النهاية قطعة واحدة يرددها كالاسطوانة من غير فهم لمعانيها أو إدراك لما تتضمنه من أفكار . اللهم إلا إذا نبهه بعضهم لبعض معانيها أو للأفكار التى تتضمنها .

أما المراهق فلا يستطيع ذلك ، ولا تقف قدرته العقلية النامية عند حد الحفظ الآلى . بل إنه يقف عادة عندما يبدأ فى حفظ قطعة عند كل جملة أو عبارة ليلتقط معانيها أو ليحدد الأفكار التى تدور حولها ، ويسأل بإستمرار عن معنى الكلمات الصعبة التى تتضمنها ... وهكذا . وهذا هو السبب نفسه الذى من أجله يكثر نقاش المراهقين للموضوعات التى يطالبون بحفظها وللدروس التى يأخذونها فبينما يميل الطفل إلى إتباع التعليمات التى تلقى عليه ، ويسير على ضوئها تماماً ، وبينما يميل إلى متابعة المدرس فى خطوات درسه خطوة خطوة ، ويتقيد بالطريقة التى ينتهجها كما هى من غير تغيير ، ويحفظ الدرس كما هو.. نجد المراهق يميل إلى فهم ما يطلب منه وما يريد أن يتذكره. وكلما زاد فهمه كلما زادت قدرته على التذكر والعمل بنجاح .

نلاحظ ذلك أيضاً على المراهق وهو يستذكر دروسه . فالدرس الذى لا يفهمه . والكتاب الذى يقرأ كلماته ويضطر لأن يحفظها كما هى بدون أن يعرف معناها أو يفهم ما تتضمنه ، لعدم وجود من يشرحها له أو لغير ذلك من الأسباب ، يمكث وقتاً طويلا فى عملية حفظها . وأحيانا يمضى الساعات الطويلة فى حفظ صفحة أو صفحتين من مذكراته أو كتبه بلا نتيجة . وإن حفظها بعد ذلك ، نتيجة لكثرة التكرار ، يكون حفظه مؤقتاً سرعان ما ينتهى

وحده ، وسرعان ما تتبخر من ذاكرته الكلمات والأشياء التى استذكرها بعد وقت قصير . أما الأشياء التى يفهمها ويلم بمعناها ويدركها تماماً فلا يستغرق فيها مثل هذا الوقت ، ولا تضيع من ذاكرته بمثل هذه السهولة .

وتزداد أيضاً قدرة المراهق على التخيل . وهذه القدرة بدورها تطبع المراهقة بطابع خاص يميزها عن غيرها من مراحل العمر . فنحن لا ننسى أبداً الساعات الحلوة التى أمضيناها — فى فترة مراهقتنا — ونحن نتخيل صوراً من حياتنا وما نتوقعه لهذه الحياة .

وتظهر هذه الصور بشكل واضح فى أحلام اليقظة التى يجد فيها المراهق متنفساً للهرب من الواقع واللجوء إلى عالم من الخيال ، يرضى فيه نزعاته من إشباع الدافع الجنسى ، والوصول إلى مركز مرموق ، ويحقق فيه أنواعاً من البطولة والزعامة يرنو إليها بإعجاب فى حياة الواقع ويتخيل أن يكون مثلها فى مستقبل الأيام ويشبع عن طريقه رغباته التى لا يستطيع تحقيقها عن الطريق الطبيعى .. طريق الحياة الواقعية .. فيهرب إلى هذا العالم—عالم أحلام اليقظة— الذى لا تصادفه فيه عقبات أو مشكلات . ويحقق فيه كل ما يريد ويشتهى .

فالمراهق الذى يتباهى أمامه المراهقون الذين فى مثل سنه بمغامراتهم ورحلاتهم . وما صنعوه فى هذه الرحلات وما حققوه عن طريق هذه المغامرات . قد يستغرق فى هذا النوع من الأحلام ويترجم أحلامه فى النهاية فى صورة قصص مبالغ فيها .. يعبر فيها عن حاجته هذه، ويؤكد عن طريقها اعتباره لذاته التى لا تجد لنفسها متنفساً فى هذا المجال فى ميدان الواقع ، فتلجأ إلى الخيال .

ولا نريد أن نغالى ونحكم على أحلام اليقظة على مختلف صورها ، بأنها

نشاط غير طبيعي وغير عادى . فليست هذه هى الحقيقة — بل إن الحياة الطبيعية تتطلبها أحياناً كمتنفس يلجأ إليه الفرد للتخلص من بعض رغباته أو لتحقيق بعض آماله . وليس منا فى الواقع من لم يحلم أحلام يقظة . بل وأكثر من هذا ، ليس هناك نجاح أو عمل رائد إلا وسبقه مثل هذا النوع من الأحلام فالشخص الذى أصبح مهندساً ناجحاً أو طبيباً كبيراً لابدوأنه مرت عليه أوقات إبان مراهقته تخيل نفسه فيها يقوم بهذا العمل أو ذاك ويحقق فيه أقصى أمانى النجاح .

ولذلك يمكن أن نعتبر أحلام اليقظة وسيلة سوية إذا كانت دافعاً للفرد لأن يكمل عن طريق الواقع أحلام يقظته . فطالب الثانوية العامة مثلا الذى يحلم بأن يصبح مهندساً كبيراً يقيم السدود الضخمة والمنشآت الكبيرة أو طبيباً لامعاً يجرى أدق العمليات ، ويمارس الحياة العامة من خلال هذه المهنة أو تلك مبجلا يشار إليه وإلى أعماله بالفخر...وتدفعه أحلامه إلى أن يجد ويستذكر دروسه بإهتمام ، ليحصل على مجموع الدرجات الذى يؤهله للالتحاق بكلية الهندسة أو كلية الطب كخطوة أولى فى سبيل نجاحه وتحقيق أحلامه .. يمثل طريقاً سوياً لأحلام اليقظة . أما لو اكتفى مثل هذا الطالب باجترار أحلامه ، واقتصر على تحقيقها فى الخيال ، وظل يجلس الساعات يحلم .. ويحلم فحسب ، فإن أحلام اليقظة ستمثل نوعاً من الهروب الغير سوى الضار . ولن يجنى الشاب من ورائها إلا ذكرى هذه الأحلام .

وتفكير المراهق بدوره له طابعه الخاص . ويختلف من حيث النوع عن طابع التفكير الذى يمثل الطفل وخاصة فى سنوات عمره الأولى . فتفكير الطفل فى هذه السنوات من النوع الحسى الذى يعتمد على استخدام الحواس :

ويتحدد فى أغلبه بالعوامل الإدراكية والأشياء التى يشتمل عليها الموقف الذى يفكر فيه . ولا يمتد إلى إستخراج العلاقات التى بينها والنتائج التى يمكن أن تسفر عنها .

أما التفكير المجرد والقدرة على التحليل المنطقى ومعالجة الأشياء الغير موجودة والغير ملموسة أو الملاحظة ، فيأتى مع المراهقة . وعندها يستطيع المراهق أن يعالج القضايا العقلية الصرفة ويقومها ، وأن يناقش بدرجة من الدقة العوامل أو الأسباب التى تستند إليها قضية ما ويفسرها على ضوئها ويعطى رأياً فيها . وهو فى معالجاته هذه ومناقشاته لا يعتمد على تفكيره الحسى ، وإنما يعتمد فى الغالب على التعبيرات اللفظية والعمليات الرمزية ، والإجراءات التى لا تعتمد على استخدام الحواس ، وعلى اشتقاق الاستنتاجات بطريقة عقلية صرفة .. وغير ذلك من العمليات التى يعتمد عليها التفكير المجرد .

ومعرفة هذه الأمور من الأشياء الأساسية بالنسبة لمن يتعامل مع المراهقين آباء ومدرسين .

فتعلم العد يحسن أن يبدأ بالاعتماد على حواس الطفل ، وأن تستخدم فى تعلمه موضوعات يمكن أن يدركها الطفل ويتعامل معها بطريقة مباشرة . كاستخدام كرات البلى أو عيدان الكبريت أو قطع النقود أو نحو ذلك من الأشياء التى تساعد على أن يدرك الطفل عن طريق حواسه الموضوع الذى يتعلمه .. عندما يضيف مثلا بليتين إلى ثلاث ويدرك أنهما خمسة وهكذا .

ودروس الحساب فى الصفوف الأولى من المدرسة الإبتدائية التى يتصور المدرس أنه يسهل على التلاميذ حل بعض مسائلها بفرض أن المقدار

المجهول هو .. س . وتكملة خطوات المسألة على هذا الأساس لتعيين قيمة هذا المقدار . لا يستطيع التلاميذ فهمها لأنهم فى هذه السن لا يدركون معنى الرموز المجردة ويجب عليه (على المدرس) بالتالى أن يغير من طريقته وأن يستخدم طرقاً أقرب إلى مستوى تفكيرهم فى هذه المرحلة .

وبالمثل مدرس اللغة العربية الذى يختار لتلاميذه فى هذه المرحلة (المرحلة الإبتدائية) موضوعات مجردة لا تتفق مع مستوى نمو تفكيرهم ، كأن يطلب منهم أن يكتبوا عن الفضيلة أو معنى الخير أو نحو ذلك والأفضل أن يختار لهم موضوعات تتصل بواقعهم ومشاهداتهم ، مأخوذة من البيئة المحيطة بهم . وتمثل أشياء يستخدمونها كأن يطلب منهم وصف يوم من أيام الدراسة وما فعلوه فى هذا اليوم . أو وصف رحلة قاموا بها وما شاهدوه أثناء هذه الرحلة أو نحو ذلك من الموضوعات ذات الصلة بهم والتى يدركونها ويلمسونها عن قرب ولا تتطلب مستويات عالية مجردة لم يصل إليها تفكيرهم .

الفصل الثالث

النمـو الانفعـالى

تتميز مرحلة المراهقة أيضاً بالتغيرات الانفعالية العديدة التى تطرأ على المراهق . وأغلب هذه الانفعالات من النوع الحاد العنيف الذى يجعل صورة المراهق غير صورة الطفل الهادىء الوديع التى كان عليها فى المراحل السابقة . وفى الواقع إن مرحلة المراهقة من هذه الناحية – أعنى لحدة انفعالاتها – تكاد أن تكون مرحلة ميلاد جديد . فصورة المراهق بالنسبة للأبوين هى صورة الطفل الصغير الذى ينفعل لأتفه الأسباب والذى يثور لغير ما سبب ، أو لسبب لا يعرفه الأبوان على وجه التحديد . فالطفل – فى سنوات عمره الأولى – إذا اغضبته أو رفضت أحد طلباته ، لا يقابلك إلا بالثورة والبكاء والارتماء على الأرض . وغير ذلك من الصور الانفعالية الحادة التى لا يستطيع الأبوان التصرف بالنسبة لها فى أحوال كثيرة . والتى يواجهانها فى الغالب بمراضاة الطفل وتنفيذ ما يطلبه مكرهين .. حتى يسكت أو يهدأ . أو على العكس يقابلانها بالحزم والشدة والقسوة حتى يسكت الطفل أيضاً ويستكين .

فإذا تدرج الطفل فى سنوات العمر أخذت هذه الصورة الانفعالية تهدأ بالتدريج . وأصبح أكثر طاعة وأكثر استكانة . وأصبح يدرك الأمور ويعيها ويعرف حدود ذاته ، ويعرف أيضاً حدوداً لمتطلباته . وتبدأ سفينة الحياة تسير به فى تيار هادىء من العلاقات الودودة بينه وبين الأم والأب .

حتى إذا وصل إلى سن المراهقة تغير الحال . وأصبحت صورة المراهق

بالنسبة للأب صورة غريبة ، صورة ينكرها ولا يكاد يعرفها ، فالابن الهادىء المطيع الذى كان عليه الطفل فى السنوات السابقة لمراهقته ، أصبحت صورته غير صورته الآن . فهو الآن يثور ويغضب . وثورته ليست من النوع البسيط كثوراته وهو طفل ، وغضبه ليس من نوع الغضب الذى كان ينتهى لوقته متى ربتت الأم أو الأب على كتفيه ، وكفكفا له دموعه . وإنما الغضب هنا لا ينتهى بسهولة ، وقد يصحبه تحطيم الأشياء التى فى متناول يديه أو ترك البيت للأبوين أو تمزيق الثياب أو نحو ذلك من التصرفات

وثوراته هنا — أعنى فى مرحلة المراهقة — ليست موجهة فى حقيقتها لشىء محدد أو للأم او الأب بالذات ، وإن ارتبطت وقت حدوثها ببعض الطلبات أو الاحتكاكات العادية التى كان يمكن أن تمر بسلام ، وإنما هى ترجع فى حقيقتها إلى طبيعة المرحلة التى يمر بها والمشاكل التى تواجهه وأنواع الصراع التى يتعرض لها ولا يستطيع أن يتصرف بالنسبة لها . ويجد فى طلب يرفضه الأب مثلا أو كلمة يقولها ولا ترضيه ، متنفساً لما يضطرم بداخله ، فينطلق مندفعاً ثائراً ضد الأب وضد الجميع .وقد يكون الطلب — كما قلت— بسيطاً يمكن تحقيقه لو استمرت المناقشة هادئة بين الأب والابن حتى يتوصلا إلى حل بالنسبة له ، وقد تكون الكلمة بدورها غير عنيفة ولا تستحق الثورة التى يقيمها الابن من أجلها . ولكن — كما قلت أيضاً — ليس السبب هو الطلب نفسه أو الكلمة فى حد ذاتها ، وإنما فى الغالب هو مجموعة العوامل وأنواع الصراع التى تمثل حياة المراهق بكاملها.وما يتعرض له من ضغوط . والتى يجد فى أية مناسبة تعرض له متنفساً لها يفرغ عن طريقه بعض ما يثور ويضطرم بداخله .

ولعل فى تتبع بعض العوامل وأنواع الصراع التى يتعرض لها المراهق من هذه الناحية – أقصد الصراع الانفعالى – ما يلقى الضوء على طبيعة المراهق وطبيعة العوامل التى تحركه وتوجه تصرفاته .

فمن ناحية نجد أن نمو المراهق ، وما يطرأ على جسمه ، وطبيعة التغيرات الفسيولوجية التى تتميز بها هذه المرحلة تسبب له قلقا بالغا . فهو يرى التغيرات التى تطرأ على جسمه ولا يفهم حقيقة بعضها ، ويشعر كما لو كان هو الشخص الوحيد الذى تحدث له هذه التغيرات . والتى كان يجب ان يعرف المراهق –سواء عن طريق أبويه أو عن طريق المدرسة أو غيرهما من المؤسسات الإجتماعية المسئولة عن تربيته وإعداده – انها طبيعية وإن كل فرد لابد وأن يمر بها . وكذلك الحال بالنسبة للتغيرات الداخلية التى تحدث للمراهق والتى يشعر بها ويود أن يعرفها وأن يفهمها كذلك ، ولا يجد من الأبوين بالمثل أو مدرسى المدرسة أو غيرهم تشجيعا على مناقشتها معه أو تفهيمه إياها .

والدافع الجنسى الذى يظهر بشدة فى هذه المرحلة ، هو أحد هـذه التغيرات التى تسبب للمراهق قلقا شديدا ، بسبب رغبته فى تفهم الأمور الجنسية ورغبته فى إشباع هذا الدافع . تلك الرغبة التى تلقى من المجتمع معارضة شديدة فيضطرب المراهق نتيجة هذا التضارب بين الرغبة الجنسية الملحة وبين مقتضيات المجتمع وتقاليده ، ويزيد المشكلة تعقيدا ما يحاط بالدافع الجنسى وبالمسائل الجنسية عموما من غموض وتكتم وشعور بالخطيئة والاثم . فهنا يقع الصدام بين الرغبة فى تفهم المسائل الجنسية وأشباع الدافع الجنسى وبين الموانع التى يضعها المجتمع مما يؤدى بالمراهق إلى أقسى أنواع الصراع النفسى. ذلك ان الطريق الوحيد الذى يرضى عنه المجتمع ، ويرضى عنه الدين ويسمح

به الأبوان هو طريق الزواج . وهو طريق لا يستطيع المراهق أن يسير فيه فى الظروف العادية الحالية لأسباب إجتماعية واقتصادية عديدة . ولذلك فهو كثيرا ما يلجأ إلى طرق الاشباع الجنسى الغير سليمة مثل ممارسة العادة السرية وغير ذلك من الطرق (التى سنعود اليها بنوع من التفصيل عند معالجة المشكلة الجنسية) وكلها أمور تزيد من قلق المراهق وشعوره بالذنب خصوصا وإنه يعرف أنها كلها أمور لا يرضى عنها الدين ، ويسمع من المحيطين به أنها ضارة وغير مرغوب فيها .

وهناك مظهر ثان من مظاهر الصراع التى يتعرض لها المراهق هو الصراع الدينى ورغبة الشباب فى تفهم الأمور الدينية والتوافق مع ما يأمر به الشرع ويرضى عنه .

وهذا الصراع لا يتعرض له شبابنا فحسب بل ربما كان شباب بلاد العالم لأخرى — والغربية منها بصفة خاصة — أكثر تعرضاً له . وربما كانت مشاكلهم فيما يتصل به أكثر تطرفا وأدعى للاهتمام ، والقلق .

فالصورة الشائعة لشبابهم — مهما حاولت أن تجد لنفسها من مبررات ، ومهما حاولت أن تصبغها بصبغة فلسفية تتخفى وراءها ، هى صورة الفراغ .. والضياع .. صورة البحث عن أى موضوع أو أى مجال يشغل وقتهم وتنعكس فيه مشاعرهم . وينفس عن مكنون دوافعهم . ولذلك فهى صورة تتجه إلى المظهر أكثر من اتجاهها إلى الجاد من شئون الحياة . ونجد أن الاهتمام فيها يتجه إلى إطالة الشعر أو تمزيق الثياب أو العرى .. أو نحو ذلك من المظاهر التى أصبحت عادية ومألوفة فى أوساطهم نراها كل يوم وكأنها جزء طبيعى لا يثير الدهشة أو الأستغراب .

نراها بين شبابهم المدمن للمخدرات أو ما هو شر من المخدرات الداعى لأنواع شاذة من العلاقات الجنسية ، ترضى عنها مجتمعاتهم وتتقبلها بلا تحرج ولا تدخل .

وإذا رجعنا إلى الأصل فى هذه الصورة ، إذا رجعنا إلى السبب . لوجدنا أنه عدم وجود أهداف وغايات حقيقية تستحوذ على مشاعرهم وتوجه بالتالى سلوكهم . إذ لو وجدت هذه الأهداف والغايات واتجهوا نحو تحقيقها ، لكانت حياتهم غير هذا النوع من الحياة ، ولكانت عيشتهم غير عيشة الفراغ والضياع .

والهدف الأمثل الذى يمكن أن يجمع الشباب حوله . والذى يمكن أن يحد من تطرفهم ، ويضع أمامهم القدوة الصالحة والطريق الواضح المستقيم هو الدين . وهو الهدف الذى يفتقدونه ، ولا يجدون منطلقاً للسير على هديه وفى سبيله .

ولهذا السبب لا تأخذ صورة الصراع الدينى عند شبابنا نفس الصورة ، ولا تصل بهم إلى نفس الدرجة من الفراغ والضياع . ذلك أن الدين الإسلامى بحمد الله واضح النهج .. واضح الغايات . وتربيتنا لأبنائنا مهما اختلفت تسير على نفس النهج وترتبط بنفس الغايات . وهو السبب الذى جعل مشاكل شبابنا — فيما يتصل بهذا الجانب — أقل حدة وأقل تطرفاً .

إلا أن الملاحظ لشبابنا يجدهم تارة يتمسكون بأهداب الدين ويغالون فى هذا التمسك ، وتارة أخرى يجدهم غير مبالين تجذبهم تيارات الحياة المختلفة فما هو السر ؟ ما هو سر التذبذب فى الشعور الدينى عند الشباب ؟ لماذا نراهم آناً يقبلون على الدين أشد الإقبال ، وآناً آخر نراهم بعيدين عنه كل البعد ؟

لنقف قليلا عند هذه الأسئلة لنسترجع بعض الحقائق عن المراهقة والشباب...

سبق أن ذكرنا، أن الشاب لا يكاد يقبل على فترة المراهقة حتى يكون ذكاؤه وقدراته العقلية. وخاصة قدرته على التفكير المجرد، قد نمت بشكل ملحوظ. فيبدأ يفكر فى موضوعات عديدة. يفكر مثلا فى معنى الخير والشر والواجب والإله ومصدر الكون.. وغير ذلك من الموضوعات. ويسأل هذا وذاك، ويظل يناقش فيها ويجادل.

ومن الأمور الهامة التى يميل إلى مناقشتها ضمن هذه الموضوعات ويوليها أهمية خاصة المبادىء الدينية وحقائق الدين. تلك المبادىء والحقائق التى كان يسلم بها فى أيام الطفولة ويصدقها تصديقاً تاماً من غير جدل أو محاورة. ذلك أن ذكاؤه المتزايد وتفكيره وعقليته الواعية، لم تعد تسلم ببساطة بكل ما يلقى إليها من غير أن يقتنع هو نفسه بهذا كله.

ويأخذ هذا الشعور فى الزيادة والنمو. ويكثر جدل المراهقين والشباب حول المسائل الدينية إلى درجة تجعل الكبار يفسرونه فى بعض الأحيان. على أنه إلحاد وكفر بالدين. وهو ليس كفراً فى الواقع وليس إلحاداً. بل رغبة فى المعرفة والإلمام بهذه النواحى كرغبته فى الإلمام بغيرها من الموضوعات، وأن اهتمامه الخاص بأمور الدين هو السبب فى كثرة جدله ومناقشاته.

ومن ناحية أخرى نجد المراهق كثيراً ما يلجأ إلى هذا الشعور الدينى المتزايد فى القضاء على بعض مشاكله الانفعالية، وفى التغلب على نزعاته ورغباته الجامحة، وخاصة الجنسية منها. وذلك عن طريق ممارسة واتباع قواعد الدين وأوامره التى تنهى عن هذه الرغبات والنزعات.

إلا أن هذا الشعور الدينى لا يكون بدرجة واحدة. وإنما يرتفع أحياناً

وينخفض أحياناً أخرى . ولو حاولنا أن نبحث عن أسباب هذا التذبذب فى درجة الشعور الدينى ، لوجدنا أن وراءها نوبات من الشعور بالذنب ، فالأمر لا يخلو أحياناً من استسلام المراهق والشاب لنزوة جنسية ، كممارسة العـادة السرية أو رؤية أحد الأفلام الخارجة ، أو التطلع إلى صورة عارية .. أو نحو ذلك . مثل تلك النزوة يتبعها فى العادة شعور بالذنب يحاول الشاب تغطيته بزيادة إقباله على الدين والقيام بشعائره حتى يتطهر من الذنب الذى ارتكبه .

هذه هى الدوافع الحقيقيه وراء التذبذب فى الشعور الدينى عند المراهقين والشباب . فما هو واجبنا بالنسبة لها ، وما الذى نفعله من أجلهم ؟

إن التخلص من هذا الشعور ، واستقرار الشاب من هذا الجانب لا يأتى نتيجة النصح ، أو حتى نتيجة الضغط والزجر أو التهديد . وإنما يأتى نتيجة التعرف الكامل على طبيعة الدوافع التى تجتاحه وكيف يتغلب عليها . ونتيجة الفهم الصحيح لأصول الدين والإدراك الواعى للمعانى السامية التى يتضمنها. ليس بقصد حفظها وتسميعها كما هو الحادث فى مدارسنا . وفى تعليم أبنائنا دروس الدين . وإنما بقصد العمل على ضوئها والسير على هداها . ولن يتحقق هذا الهدف إلا إذا تضافرت جهودنا جميعاً على تحقيقه فى البيت وفى المدرسة وأيضاً عن طريق وسائل الإعلام وغير ذلك من الهيئات المسئولة عن إعداد الشباب . وعن طريق القدوة فى البيت . وعن طريق التوجيه السليم . عندما يرى الأبن أباه وأمه يمتثلان لأوامر الدين ولروحه فى كل أمورهما . وعندما يبثان فى الأبن منذ صغره روح الدين الحقة ويتبعان نموه ويوجهان سلوكه على ضوء هذه الروح.وفى المدرسة عندما تنحى جانباً الاهتمام بالدين من حيث هو مادة ينجح فيها الطالب أو يرسب ، ونجعل اهتمامنا الأول للدين من حيث هو

سلوك يمارس بوعى وبفهم وبعمق وبحث عن القيم الحقيقية التى وراءه .. وغير ذلك من الوسائل التى تهدف إلى الممارسة الحقيقية ، وإلى التخلق حقاً بقيم الدين وآدابه والعمل بتعاليمه .

والمظهر الثالث من مظاهر الصراع التى يتعرض لها المراهق هو الصراع الناتج عن اعتداد المراهق بذاته ، ومحاولته التحرر من التبعية الطفلية ، وبين الخضوع لأوامر الأبوين والمدرسة والكبار عموماً . فأغلب الآباء ينظرون للمراهق على أساس أنه هو ابنهم الذى تعود على طاعتهم . وأن هذا الأبن – مع علمهم بأنه قد كبر حقاً فى الجسم ، ومع إعتقادهم بأنه قد نمى حقاً فى العقل وفى المعرفة – إلا أنه بالرغم من كل هذا هو ابنهم الذى يشرفون على تربيته وتوجيهه ، والذى ينفقون أيضاً عليه ، والذى يرتبط بهم ارتباطاً كاملا فى كل شىء . ومن ثم يجب ألا يخرج عن الإطار الذى يرسمونه له ، والذى تتمثل فيه مجموعة القيم والعادات والتقاليد التى ساروا عليها .. والتى يريدونه أيضاً أن يسير عليها ، ومجموعة القواعد والتعليمات التى يرون أنها تمثل الطريق القويم والخطة المثلى لإعداده وتنشئته . هناك مثلا مواعيد محددة لخروجه ودخوله يجب أن تسير تحركاته على ضوئها فإذا تأخر أين كان .. ومع من .. الخ . فهذه مسائل يجب أن تعرف .. وأن يكون الجواب عليها حاضراً وواضحاً لا يثير الشك أو الارتياب . وهناك أصدقاؤه مع من يسير ، وإلى من يذهب ومن اختار .. إلى غير ذلك من الأمور التى تتصل بصميم حياته وإختياراته .

هذا من وجهة نظر الآباء ...

أما الأبناء فلهم وجهة نظر أخرى تتعارض بدرجة أو بأخرى . مع وجهة نظر الآباء . فالمراهق يرى أن له الحق فى أن يشعر بحريته الكاملة يخرج متى

شاء ويرجع متى أراد .. من غير أن يسأله سائل إلى أين خرج او من أين جاء ؟ لأنه — كما يرى — أدرى بمصلحته وبأموره . ولم يصبح بعد الطفل الذى يخافون عليه .

ولكن هل يتركه الآباء ليفعل ذلك ؟ بالطبع لا . فهم يخافون عليه . ويزداد خوفهم ، كلما تقدم به العمر وزاد خروجه ورجوعه وزادت علاقاته واتصالاته . ويزداد إلحاحهم وتساؤلهم كلما أصر على عدم الإجابة على أسئلتهم والأنصياغ لما يطلبون .

وهكذا يجد المراهق فى دوامة من القوى التى تدفعه من الداخل ، والعوامل التى تؤثر فيه من الخارج .. هذه القوى والعوامل التى تتحول فى النهاية إلى هزات واضطرابات عنيفة تجتاح هدوءه واتزانه ، وتجعله يبدو بالصورة المهتزة الغير مستقرة التى نراها . والتى تحتاج إلى من يفهمها وإلى من يعاون المراهق على أساس هذا الفهم معاونة جدية . بل وتحتاج إلى توجيه الآباء وكل من يتعامل مع المراهقين والشباب إلى نوع المعاملة المطلوبة .

ويجب أن نوضح أن معالجة مثل هذه الأزمات التى تواجه المراهقين ، وأنواع الصراع التى يتعرضون لها . وإنما تتم بالتوجيه السليم . وأخذ الأمور بالرفق . والفهم الصحيح لطبيعة المشاكل التى يعانون منها وطبيعة المرحلة التى يمرون بها . وأنه من الضرورى أن يهتم الآباء وكل المتصلين بالمراهق والشاب بمشاكله النفسية ومتاعبه ، والعمل على تلافى أسبابها من أول الأمر . حتى لا تتطور وتتأزم وتتحول إلى أعراض يصعب علاجها .

وأفضل طريقة تساعد كلا من الأب والشاب على مواجهة مشاكله الخاصة مواجهة سليمة ، هى تعويد الأبن الشاب منذ طفولته — وتعود الأب

كذلك – على حرية المناقشة والمشاركة فى الرأى . حتى إذا أقبل الأبن على على مرحلة المراهقة ، ناقش أموره مع الأب بنفس الروح وبنفس الكيفية التى كان يناقشه بها فى طفولته . ولن يجد غضاضة فى أن يعرض عليه أموره الخاصة . بل لن يجد فى هذه الحالة من هو أفضل من الأب ليعرض عليه أسراره ، ويطلب منه رأيه الخاص فيها .

إن الهوة الكبيرة بين تفكير الأب والأبن لا تنشأ فى مرحلة المراهقة ، وإنما هى إمتداد طبيعى لنوع المعاملة التى كان الأب يعامل بها ابنه من قبل . فالأب الذى يزجر ابنه الصغير لأقل حركة أو لأبسط سؤال ، والذى يضربه لأهون غلطة .. هو نفس الأب الذى سيحاول ابنه أن يهرب منه عندما تتاح له الفرصة . ولن تتاح له الفرصة طبعاً قبل سن المراهقة والشباب . ولذلك ما يكاد يصل إليها ويشعر بأنه قد وصل إلى السن الذى يسمح له بالإنفصال ، حتى يبادر إلى التمسك بحريته الخاصة ، ويعلن رغبته فى الاستقلال والتصرف وفقاً لرغباته هو لا رغبات الآخرين .

الفصل الرابع

النمـــو الاجتماعى

يأخذ النمو الإجتماعى فى هذه المرحلة شكلا مغايراً لما كان عليه فى فترات العمر السابقة . فبينما نلاحظ اضطراد النمو الإجتماعى للطفل منذ ولادته ، ومنذ ارتباطه فى السنوات الأولى بالأم بالذات ، التى تتمثل فيها جميع مقومات حياته .. فهى مصدر غذائه ومصدر أمنه وراحته وهى الملجأ الذى يحتضنه .. أو بمعنى أدق هى الدنيا كاملة بالنسبة له .. ثم إتساع دائرة الطفل الإجتماعية لتشمل الأفراد الآخرين فى الأسرة ، ثم الأقارب وأطفال الجيران ..وهكذا. إلا أن هذه العلاقات جميعها تكون داخل الدائرة الإجتماعية التى تمثل الأسرة وارتباطاتها . ولا يخرج الطفل عن هذه الدائرة ليكون لنفسه ارتباطات خاصة خارج نطاق الأسرة إلا فى فترة المراهقة .

وحتى عندما يخرج الطفل خارج البيت ليلعب مع أطفال الجيران . نجد أن صلته بالبيت تظل موجودة بإستمرار ، حتى أثناء لعبه . فأى شجار يحدث بين الأطفال إنما يحسمه الكبار .. الأب أو الأم أو غيرهما من الكبار من أفراد الأسرة . وعند أى إعتداء يقع على الطفل ، فإنه يهرع إلى البيت شاكياً منتحباً. وينتهى غضبه وتنتهى مشكلته بمجرد أن تربت الأم على كتفيه . أو تأخذه فى أحضانها ، وتمسح له دموعه .

وبعد أن يذهب إلى المدرسة نجد نفس الصورة . ونجد نفس العلاقة ونفس الارتباط بالبيت لازال موجوداً . فهو لا يذهب إلى المدرسة — عندما يذهب إليها أول مرة — إلا مكرهاً . ويظل طيلة طفولته شديد الصلة بالبيت

والتعلق به . يهرع إليه كل يوم بعد إنتهاء الدراسة ، وكأنه يلجأ إلى حصن الأمان الذى يطمئن إليه وإلى وجوده بين جدرانه .

ولا تتغير هذه الصورة إلا مع المراهقة . عندما تبدأ تتكون علاقات من نوع جديد تربط المراهق بغيره من المراهقين والشبان . وعندما يشتد إرتباطه بجماعات معينة منهم ، ويزداد ولاؤه لهذه الجماعات . وتكون هذه العلاقات والارتباطات – فى العادة – على حساب ارتباطه بالأسرة ، وإحساسه بالأمن والراحة عن طريق إنتمائه إليها وإلى الأبوين بالذات ، وشعوره بالحب والعطف والحنان فى المحيط الذى يجمعه بهما ويضمه إلى رحابهما .

* ولا يتقبل الأبوان فى العادة هذا التغير فى العلاقات الإجتماعية التى تربطهما بأبنهما المراهق .. وصورته الجديدة .. صورة الراغب فى الاستقلال والبعد بالتدريج عنهما .. صورة غريبة ، لا يرضيان عنها بسهولة . فقد تعودا أن يتقبل الطفل ويفرح بالجلسة الحلوة التى كان يجلسها بجوارهما ، ويجد متعة كل المتعة فى أن يشاركهما البقاء فى المنزل ، أو اللعب بجوارهما ، أو زيارة الأقارب والجيران معهما ، أو الخروج للنزهة فى صحبتهما .

أما الآن ، فقد تغير الحال . وأصبح المراهق ينأى بنفسه عن صحبتهما ، بل ويكره هذه الصحبة . فقد كبر وأصبحت له حياته الخاصة . وأصبح له أصدقاؤه .. أصدقاء من خارج محيط الأسرة ، يشاركهم أسرارهم ويشاركونه أسراره .. أصدقاء من مثل سنه ، يجد فى صحبتهم ألفة وجواً غير الجو الذى يعيشه داخل المنزل . وأصبح بالتالى ينزع إلى الخروج إلى هذا الجو الجديد وإلى هذه الألفة السارة ، وإلى هؤلاء الأصدقاء الجدد . ويفضل صحبتهم عن البقاء فى البيت ، الذى أصبح يمل وجوده فيه ، ولا يجد لنفسه بداخله متنفسا يرضى حاجاته الجديدة ورغباته الناشئة .

ومن ثم تقوى بالتدريج رغبة المراهق فى الاستقلال والتحرر ، من سلطة الأبوين والكبار عموما . وتقوى رغبته فى أن يعامل معاملة الشخص الكبير ، لأنه أصبح يرى نفسه ندا للكبار ، ومن ثم يجب أن يعامل معاملتهم . واصرار الكبار على معاملته معاملة الطفل يزيد من لجوئه إلى الجماعات الأخرى التى تؤكد ذاته وتعامله على قدم المساواة ، ومن إنتمائه اليها .

وهكذا تبدو مقاومة ساطة الكبار أيا كان نوع تلك السلطة هى الطابع المميز لسلوك المراهق . وتظهر هذه المقاومة بوضوح فى الثورة ضد الأبوين اللذين يتمثلان فى نظره كشخصين يريدان إحتكاره . ويصران على تبعيته لهما ، ويتدخلان فى شئونه الخاصة ويفرضان عليه أمورا لا يرغب فيها .

كما يرى فيهما شخصين يحاولان منعه من الاستقلال والتحرر والاتصال بأقرانه من الشباب ، الذين يفهمونه ويفهمهم ويجد فى صحبتهم جوا جديدا ومعاملة جديدة لا يشعر بهما داخل المنزل .

قد تأخذ نزعة المراهق هذه للاستقلال عن الكبار شكل الثورة والتمرد والتهديد .. أو قد تتطور وتأخذ شكل الهرب من المنزل أو ترك المدرسة .

ويصعب على كثير من الآباء مواجهة مثل هذه الأمور ، لأنهم لا يتصورون كيف يخرج ابنهم أو أبنتهم عن طاعتهم . ويعتبرون هذه النزعة نوعا من الانحراف الذى يجب أن يقابل بمنتهى الحزم والقسوة حتى يرتد الشاب أو الفتاة ويرجع إلى سيرته الأولى ، ويعود إلى طاعتهم والإمتثال لأوامرهم .

الا أننا يجب أن ننبه إلى أن إستخدام القوة والقسوة فى مقاومة نزعات المراهق ورغباته ، وخاصة رغبته فى تأكيد ذاته والشعور بإستقلاله ، لهـا

خطرها المؤكد لأنها تزيد من مقاومته وعناده ــ ولأنه يتبعهما في العادة مشكلات أعقد وأعقد في السلوك ، بل وربما تؤدى إلى جناح المراهق ، وخروجه من نطاق المشكلات التى يمكن حلها عن طريق الأبوين وداخل نطاق الأسرة إلى المشكلات التى لا يفيد معها تدخل الأبوين أو العلاج العادى ، والتى تقع تحت طائلة القانون وتؤدى إلى الجريمة .

فجناح المراهق هو مظهر من مظاهر الانحراف يحدث نتيجة عدم توافق المراهق مع بيئته ومع الظروف التى يعيش فيها وهو يختلف من هذه الناحية عن انحراف الكبار وعن الجرائم التى يرتكبونها . فالنوع الأخير من الاجرام يمثل عادة أصيلة عند المجرم ، تنتظم حياته على أساسها ، ويصعب أن يتخلص منها . أما الجناح فيعود إلى اضطراب ظروف البيئة وعدم تمكن المراهق من مسايرتها بشكل طبيعى ، نتيجة كراهيته مثلا للبيت نظراً للمعاملة القاسية التى يتلقاها فيه ، فيتجه إلى مجموعة من المراهقين أو الشباب ، يتجمعون فى أول الأمر تمضية وقت الفراغ عن طريق العبث ومشاكسة الآخرين فى أول الأمر . ثم يتطور هذا العبث وهذه المشاكسات بالتدريج إلى الاعتداء بأنواعه ومنه الاعتداء الجنسى . أو السرقة...أو نحو ذلك من أنواع الانحراف .

أو قد يأتى الجناح نتيجة عدم وجود ما يشغل المراهق . أو يقضى فيه وقت فراغه . أو نتيجة الكبت الشديد .. أو غير ذلك من الأسباب التى تنتهى به فى النهاية إلى رفاق السوء .. وإلى الانحراف .

ونحب أن نوضح أن الأساس فى معالجة مثل هذه الأنواع من الانحرافات هو معرفة السبب أو الأسباب التى أدت إليها ومحاولة إعادة المراهق إلى

الطريق السليم...وذلك بتنظيم أمور حياته .. وتوجيهه إلى أفضل السبل التى تحقق له حسن التوافق مع ظروف معيشته . والاهتمام بصفة خاصة بأوقات فراغه حتى تستقيم حياته وحتى يعود إلى الحياة الطبيعية والتوافق مع الأسرة والبيئة . أما القسوة والزجر وما أشبه . فلا تؤدى إلا إلى تشدد المراهق .. وإلا إلى خروجه نهائياً إلى الرفقة الجديدة وإلى حياة الانحراف التى اندمج فيها.

وليس معنى ميل المراهق للاستقلال ورغبته فى تكوين علاقات خاصة بزملاء من مثل سنه . يكونون فيما بينهم جماعات خاصة . وانتمائه إلى هذه الجماعات أن صلته بأسرته قد انعدمت أو أنه أصبح لا يخلص لها بل على العكس تظل أسرته موضع إخلاصه وافتخاره وانتماؤه لهذه الجماعات لايعنى إلا رغبته فى تمضية وقت فراغه معها واستخلاصها كمتنفس لأسراره وآماله. وأيضاً رغبته فى الشعور باستقلاله وبحريته ، وخاصة حريته فى التصرف داخل نطاق علاقاته بهذه الجماعات بشكل لا يستطيعه داخل الأسرة ، مع الأب أو الأم أو الأخوة أو غيرهم . فهو يستطيع مع رفاقه أن يحكى النكات وأن يتتبع مغامرات الأصدقاء وأن يحكى النوادر . بشكل وبأسلوب لا يستطيع استخدامه مع أفراد أسرته .

ولا أدل على أن صلة المراهق بأسرته لا تزال موضع إخلاصه واهتمامه ، من ثورته إذا تعرض لها بعضهم بسوء ، حتى ولو كان هذا البعض من أفراد جماعته ، وحتى لو كان هذا التعرض مجرد كلمة عابرة .

وكما يظهر المراهق ولاء لأسرته . يظهر ولاء مماثلا وإخلاصاً لمدرسته ولناديه ولبلده . ويظهر هذا الولاء فى تعصب المراهق لفريق مدرسته مثلا أو لفريق النادى الذى يحبه أو يشترك فيه . ويظهر الولاء لبلده بصفة خاصة

أيام الأزمات والحروب . عندها يود كل مراهق لو تطوع لخدمة بلده . ويتملكه الحماس ويضحى بكل شيء فى سبيل سلامته ونصرته .

وفى بعض الأحوال ، عندما تقتضى الظروف من المراهق أن يتحمل مسئوليات قد تكون أكبر من قدرته عندما يصبح عليه فجأة . ولظروف تمر بها الأسرة ، أن يعمل مثلا من أجل الصرف عليها والقيام بمتطلباتها أو مساعدتها . قد يبذل المراهق المستحيل ليثبت للأسرة أنه قادر على تحمل هذه المسئوليات ، وليؤكد عن هذا الطريق ذاته . فإذا لم تقابل هذه الخدمات بالإكبار والتقدير ، أو إذا قوبل عرضه بالشك فى قدرته على القيام به ، أو رفض عرضه بالمرة ، فإن النتيجة قد تكون انسحابه بالمرة من تحمل أيه مسئوليات تجاه أسرته واهتمامه بذاته وأموره الخاصة . ذلك أن الرفض هنا أو الشك لن يكون رفضاً للعبء المطلوب منه أن يتحمله أو العرض الذى يعرضه . بقدر ماهو رفض أو شك فى ذات المراهق نفسه وقدرته على القيام بهذا العبء أو تنفيذ هذا العرض . وهو أمر لا يسمح المراهق أبداً بالتهاون فيـــه .

ومن المظاهر الأساسية للنمو الاجتماعى خلال هذه الفترة ميل المراهق لتكوين الصداقات فالصفة البارزة فى المظهر الاجتماعى للمراهق — كما تبين لنا — هى ميله للخروج عن العلاقات الاجتماعية الضيقة التى تربطه بأسرته وحدها ، إلى علاقات أوسع تتمثل فى أصدقائه ورفاقه ، وميله إلى الانتماء إلى جماعات من هؤلاء الأصدقاء ، كجماعة أصدقاء الحى أو النادى أو المدرسة أو نحو ذلك .

وهو يختار أصدقاءه فى العادة بنفسه ، ولا يرغب فى تدخل أبويه فى

هذا الأمر . وتدخل الآباء — فى الحقيقة — يفسد هذه العلاقات الناشئة ، ويفسد الجو الطبيعى والاختيار الحر الذى تقوم عليه . قد لا يرضى الآباء فى بعض الأحيان عن اختيار أبنائهم لأصدقائهم ، وينتقدون تصرف بعض هؤلاء الأصدقاء . إلا أن هذا لا يعنى أن يأخذ الأب دوراً مباشراً فى اختيار الأصدقاء ، وفى الإشراف على علاقة أبنائهم بالآخرين . والتدخل بينهم ، والتعرض لأمورهم الخاصة . وتوجيه نشاطهم بصفة عامة بشكل سافر صريح . وإنما يمكن أن يتم ذلك من بعيد . وبمناقشة الابن عندما تسمح الظروف بذلك فى جو هادىء بعيد عن المشاحنات والغضب ، وبقصد التوجيه ... لا بقصد فرض الأوامر . حتى يكون تخلى الابن عن علاقاته أو الحد من ارتباطه بأصدقائه ، نابعاً من نفسه ، وحتى يكون عدم رضاه عن أخطاء هؤلاء الأصدقاء وسلوكهم الذى لا يرضى الأب ، منبثقاً من نفسه هو — أعنى الابن — ومن اقتناعه بضرورة البعد عنهم أو الحد من درجة ارتباطه بهم ، حتى لا يتجه نفس اتجاهاتهم ، وحتى لا يرتكب هو أيضاً الأخطاء التى لا ترضيه ولا ترضى الآخرين .

والصداقات التى تنشأ فى هذه الفترة — على أية حال — أكثر ثباتاً ودواماً من صداقات عهد الطفولة . إذ أن صداقات المراهق تقوم على أساس من الفهم المتبادل للمشاكل التى يواجهونها ، والمتاعب التى يلقونها والأسرار التى يتناقلونها .. تلك المشاكل والمتاعب والأسرار التى يعتقد المراهقون أن الآباء لا يفهمونها الفهم الصحيح ولا يقدرونها التقدير المناسب . أو على الأقل لا يشعرون تجاهها نفس شعورهم وإحساسهم .

فهناك وحدة مشاعر تربط بينهم ، ووحدة فكر تجاه المشاكل والمتاعب

التى يواجهونها، ووحدة عمل أيضاً للتغلب على هذه المشاكل والمتاعب ، وكلها وكائز تنبنى عليها صداقات المراهقين وتدعم الصلة بينهم وتساعد على ثبات هذه الصلة وبقائها .

أو قد يكون أساس الصداقة ميل مشترك ، كاختيار أعضاء الفريق الرياضى أصدقاءهم من نفس الفريق .. وهكذا .

أو قد يكون أساس الصداقة ميل مشترك ، كاختيار أعضاء الفريق الرياضى أصدقاءهم من نفس الفريق ... وهكذا .

وواضح أن الأساس الذى تقوم عليه هذه الأنواع من الصداقات يختلف عن الأساس الذى تعتمد عليه صداقات الأطفال . والتى تنبنى فى أغلب الأحوال على الجوار .. الجوار فى السكن أو فى المدرسة .. أو ما أشبه . والتى ينساها الطفل بسرعة وبسهولة . فالطفل يصادق طفل الجيران لأنه يلعب معه، ويقضى معه الوقت الذى يكون فيه الأب أو الأم خارج البيت . فإذا انتقلت الأسرة إلى مسكن جديد. فسرعان ما يتجه الطفل إلى طفل آخر من أطفال الجيران الجدد ليلعب معه بالمثل مهملا كل علاقاته بصديقه القديم . أو قد يصادق الطفل الذى يجلس بجواره فى المدرسة لنفس الأسباب أو لأسباب مشابهة . حتى إذا انتهى العام الدراسى . فإنه نادراً ما يسأل عنه أو يفكر فى الذهاب إليه ... ليديم عهد الصداقة والمودة التى كانت بينهم .. وهكذا .

ومن الخصائص الاجتماعية البارزة التى تميز المراهق . تعلقه بفرد تتمثل فيه صفات الزعامة والمثل العليا . يدين بمبادئه ويتمثل بآرائه . وهذا هو سبب تسمية هذه المرحلة — مرحلة المراهقة — بمرحلة عبادة الأبطال .

وقد يرتبط المراهق بالشخصية التي يعجب بها ويتمثل بآرائها بوعي وعن إدراك . أو قد يتم ذلك عن طريق التقمص . فكثيراً ما نلاحظ بين المراهقين من يتقمص شخصية أحد العظماء . فتبدو مشيته – من حيث لا يدرى – كمشيته ، أو الطريقة التي يتكلم بها .. أو نحو ذلك .

نلاحظ ذلك أيضاً على الشباب المعجب بممثلي السينما والتلفزيون ، عندما يتقمصون بعض هذه الشخصيات . فيبدو الواحد منهم وقد اتخذ لنفسه زياً مثل الزى الذى كان يرتديه الممثل أثناء بطولته لأحد الأفلام ، أو يتخذ لنفسه شكل مظهر شعره ، أو طريقته فى الكلام أو المشى أو نحو ذلك .

والتقمص قد يكون ذا فائدة إذا اتجه إلى تكامل ذات الشاب مع فرد آخر ذى شخصية متميزة لها قيمتها ، إذ سيكتسب منها بعض خصائصها ، لتصبح جزءاً من شخصيته هو وعاملا على تميزها بدورها وتكاملها . هذا إذا كان الشاب مستعداً لذلك وإذا كانت شخصيته فى مجموعها تسمح بتقبل هذه الصفات . أما إذا كان الفرق بين خصائص الشخصيتين كبيراً ، فإن الصفات الجديدة ستبدو كالثوب الواسع الفضفاض الذى يرتديه أحد الأقزام .

هذا ويحسن أن ننبه إلى أن المهم ليس تقمص الحركات ، أو اكتساب الصفات التى تتعلق بالمظهر وطريقة الكلام ... الخ ، وإنما العمل على تطوير نظرة المراهق هذه إلى الأفراد الذين يعجبون بهم .. من المظهر إلى الأفكار . وذلك عن طريق دراسة تاريخ حياة قادة الفكر وأبطال التاريخ والتركيز على المثل والمبادىء التى نادوا بها ، حتى يكتسب المراهق عن طريق هذه الدراسة بعض القيم والمثل لتصبح جزءاً من نفسه .. يسير على هداها فى حياته .

القسم الثانى

مشـــكلات المراهقـة

تمهيد :

مرحلة المراهقه مرحلة صعبه طويلة نسبياً . يصحبها عادة الكثير من المشكلات . ما يرجع منها إلى طبيعة المرحلة ذاتها . وما استحدثته فى نفوس المراهقين من تغيرات يشعرون بها . ولا يجدون منفذاً لإشباعها أو لتحقيقها ، أو إلى ما يلقونه من المجتمع الخارجى من عدم فهم وتقدير واختلاف فى وجهات النظر .. الى غير ذلك من العوامل والأسباب .

وقد تعرضنا فى القسم الأول من الكتاب للحقائق الأساسية التى تتصل بهذه المرحلة . ونهتم هنا بعرض العوامل ذات الأثر فى مشكلات المراهق مفترضين اقتناع الآباء والمعلمين بأهمية مناقشتها وفهمها. وتوجيه الأبناء على ضوء هذه المناقشة وهذا الفهم ، وإيجاد حلول سليمة لهذه المشكلات .

ولا يقتصر الأمر على الآباء والمعلمين وحدهم ، وإنما يقتضى الأمر كذلك توجيه البيئة والسلطات الأخرى التى لها علاقة بالإشراف على المراهقين الى العناية بمشكلاتهم عن طريق هيئات خاصة تهتم بأمورهم اهتماماً جدياً بالبحث والدراسة ومناقشة الأمور وتقويم السلوك ، لا عن طريق اقتراحات سريعة لا تنفذ إلى المشكلة ولا تتعرض لصلب الموضوع . إذ لا يجوز أن نفترض دائماً أن حل مشكلات المراهقين هى مسئولية المراهقين أنفسهم . أو أنه مسئولية الآباء والمعلمين وحدهم ، بل إنه فى الواقع أمر يمس مستقبل الأمة كلها . ومن ثم يجب أن نفرد له كل عنايتنا ، كل فى المجال الخاص به .

إن الصورة العامة للمراهقين كما اتضحت لنا من خلال تتبعنا للخصائص والصفات التى يتميزون بها ، صورة مهتزة غير مستقرة . تدل على أن

تصرفاتهم غير ثابتة . فبينما نجد الواحد منهم اليوم مرحاً يزهو بنفسه ويقبل على الناس ، نجده بالغد منقبضاً قد ضاق بالدنيا وما فيها . نجده هادئاً أحياناً ، وأحياناً أخرى مندفعاً يحطم ما أمامه من أشياء .

نجده أحياناً يعبد أسرته ويتحمل فى سبيلها ما لا يستطيعه أو يطيقه الكبير المسئول ، وأياماً أخرى قد ضاق بالأسرة وأحوالها وثار عليها وترك لها البيت وبحث عن جماعة أخرى تأويه ولو إلى حين .

هذه كلها وغيرها من الخصائص والصفات التى تعرضنا لها فى القسم الأول من هذا الكتاب .. مظاهر لحاجات حقيقية يحس بها المراهق ويريد أن يشبعها ولكنه لا يستطيع فيندفع نحو هذا السلوك أو ذاك .. غير مبال بما يحدث له أو للمتصلين به .

فهو يحس بالحاجة إلى الجنس الآخر .. هذه الحاجة التى يمنعه خجله وأوامر الدين وظروف المجتمع وقواعد العرف والآداب دون الجهر بها .

هو يريد أن يرضى هذه الحاجة عن الطريق السوى .. طريق الزواج . ولكن تواجهه فى هذا الطريق صعوبات وصعوبات .

هو يحس أيضاً بالرغبة فى الاستقلال وأن يعامل معاملة الكبار وأن يستقر فى النهاية مثلهم فى مهنة مناسبة ترضى ميوله ورغباته وتتفق مع تطلعاته ومع إمكانياته . ولكن يقف دون ذلك نظرة الآباء له على أنه لا زال صغيراً لا يفهم الدنيا كما يفهمونها ويعتمد عليهم فى كل شئ ، ويتدخلون من ثم حتى فى اختياره لمهنة حياته ومستقبله .

وحتى أوقات فراغه تمثل بالنسبة له مشكلة أساسية . فهو لا يعرف أين

يقضيها ، وكيف يتصرف فى الوقت الطويل الذى يستنفد طاقاته وحيويته ، ولا يترك لشأنه أيضاً ليتصرف فيه على النحو الذى يريده .

كل هذه مشكلات تواجه المراهقين وتتطلب حلولا حقيقية لها .

ويعالج هذا القسم من الكتاب هذه الأنواع من المشكلات بدراسة أسبابها ، وتتبع العوامل التى تؤثر فيها ، ورسم الطريق نحو التخلص منها وإيجاد حلول سليمة لها . واضعين فى اعتبارنا باستمرار ظروف شبابنا والواقع الذى يعيشون فيه .

والمشكلات الأساسية التى نتعرض لها فى هذا القسم والتى تمثل الجوانب الأساسية فى حياة الشباب هى :

١ ــ مشكلات الجنس .

٢ ــ مشكلات اختيار المهنة .

٣ ــ مشكلات وقت الفراغ .

وتتعرض الفصول الثلاثة التالية لهذه المشكلات ...

الفصل الخامس

المشكلة الجنسية

تقديم :

الجنس له أهميته من غير شك فى حياة المراهقين بل إن البعض إذا تكلم عن الشباب ربط كلامه فى الغالب بالناحية الجنسية . ومنهم من لا يقصر هذا الاهتمام على المراهقين وحدهم ، وإنما يمتد ذلك عندهم إلى كافة مراحل حياة الإنسان ، ويربط أغلب مشكلاتهم فى هذه المراحل جميعها كذلك بهذه الناحية . يعطيه فرويد مثلا وغيره من المشتغلين بالتحليل النفسى أهمية كبيرة ، ويبحثون عنه وراء كثير من التصرفات الشاذة ./

وفى الواقع ، إن لهذا العامل أثره فى سلوكنا وتصرفاتنا . ونجده فى أحوال عديدة وراء كثير من صور حياتنا النفسية .

ولكن لماذا ... لماذا الجنس بالذات ؟

وللإجابة على هذا السؤال يفيد أن نتعرف على الدوافع التى توجه سلوك الإنسان . هناك فى الحقيقة نوعان رئيسيان من الدوافع : دوافع تنشأ عن حاجات الجسم الخاصة بوظائفه العضوية والفسيولوجية ، كالحاجة إلى الطعام والماء والجنس والى تجنب البرد والحر والألم . وهذا النوع من الدوافع لا يتعلمها الفرد أو يكتسبها ولكنها موجودة فيه بالفطرة . وإن تعلم شيئاً يتعلق بها ، فهو التحكم فيها ، عندما يؤخر التلميذ مثلا إشباع دافع الجوع حتى تنتهى الدراسة ويعود إلى المنزل . وهناك دوافع وحاجات تأتى نتيجة نمو الفرد واتصالاته بالآخرين واحتكاكه بظروف الحياة العامة وما تقتضيه هذه

الظروف ، مثل الحاجة الى التقدير الاجتماعى وإلى النجاح والشعور بالأمن... إلى غير ذلك .

ويطلق على النوع الأول من الدوافع فى العادة اسم الدوافع الأولية أو الفسيولوجية والنوع الثانى الدوافع الثانوية أو الاجتماعية .

والملاحظ لسلوك الإنسان يجد أن الدوافع الأولية فى مجموعها ، أقل أثراً فى حياته ، ولا تظهر بوضوح وراء تصرفاته .ولكن ذلك يتوقف إلى حد بعيد على درجة إشباع هذه الدوافع .فدافع الجوع مثلا لا يظهر له أثر كبير فى حياتنا لأننا نعمل على اشباعه باستمرار . أما فى الحالات التى يصعب فيها العثور على الطعام ، أثناء المجاعات مثلا أو كحالة شخص تائه فى الصحراء ، فإنه تبدو الأهمية الكبيرة لهذا الدافع وأثره فى توجيه سلوك الإنسان . أما فى الظروف العادية فتبدو الدوافع الثانوية أكثر أثراً . ولزيادة التوضيح يمكن أن نمثل للعلاقة بين الدوافع الأولية والثانوية فى شكل تنظيم هرمى تحتل قاعدته الدوافع الأولية ، ثم تأتى بعدها متجهة إلى قمة الهرم الدوافع الثانوية .ووجود الدوافع الأولية فى قاعدة الهرم لا يعنى أنها أقل أهمية ، وإنما يعنى أنها الأساس ، وأنه يقوم عليها بناء الدوافع الثانوية بعد ذلك . فالدوافع الثانوية لا تظهر ولا تعمل إلا إذا أشبعت الدوافع الأولية التى فى قاعدة الهرم . الشخص مثلا الذى لا يجد ما يشبع حاجته من الطعام أو يشكو من العطش قلما يفكر فى أى دافع ثانوى آخر ثقافى مثلا أو جمالى . ولكن متى أشبعت الدوافع الأولية ، فإن الدوافع الثانوية تبدأ فى الظهور وفى العمل ، وتبدأ تحتل مكانتها فى توجيه سلوك الإنسان ... عندما يهتم بإشباعها ويسلك طريقه نحو تحقيقها .

وهذا الكلام ينطبق على مجموعة الدوافع الأولية فيما عدا دافع واحد...

هو الدافع الجنسى . فهو لا يحقق إشباعه بطريقة مشابهة (كإشباع دافع الجوع أو العطش أو اتقاء الحر والبرد .... الخ) . وإنما تقف دون هذا الإشباع موانع وعقبات ، تتمثل فى واقع المجتمع وقيمة وأخلاقياته .. ومن هنا تأتى أهمية الدافع الجنسى فى حياة الإنسان . ولزيادة التوضيح يمكن تشبيهه — على ضوء المثال السابق — بحجر أو جزء غير ثابت أو مستقر فى الأساس أو فى قاعدة الهرم ... يؤدى إلى شرخ فى قوام البناء كله ، وينسب إليه أى خلل يصيب البناء بعد ذلك. تماما كما نبحث عن الجنس وراء كثير من الاضطرابات التى تظهر فى سلوك الإنسان ، ونجده بالفعل وراء كثير منها .

هذه هى أهمية الجنس فى حياتنا . وإذا كان الكبار يجدون طرق إشباعه ميسرة عن طريق الزواج ، وهو الوضع الشرعى والإجتماعى المقبول لإشباع هذا الدافع . إلا أن الصعوبات والعقبات الخاصة به كثيرة أمام الشباب ، وهى صعوبات لا ترجع إلى الرغبة فى إشباع هذا الدافع الطبيعى فحسب ، بل أيضاً إلى فهمه ومعرفة كل ما يتصل به . مجموعة الصعاب هذه والعقبات وما يرتبط بها من طرق الإشباع الغير سليمة هى ما نطلق عليه عادة اسم المشكلة الجنسية .

وإذا كانت المشكلة الجنسية مشكلة عالمية يعانى منها شباب العالم أجمع ، إلا أن هناك من العوامل ما يجعل لهذه المشكلة أهمية خاصة بالنسبة لشبابنا. نذكر من هذه العوامل أن الفتى والفتاة يصلان إلى تمام نضجهما الجنسى وبلوغهما عندنا بصفة عامة فى وقت مبكر نسبياً عن الشعوب الأخرى — وهى الحقيقة التى سبق أن أشرنا إليها وإلى تأثيراتها — وهذا معناه أن الميول الجنسية تظهر فى وقت مبكر . والطريق السليم الذى نوافق عليه لإشباع هذه الميول هو

الزواج :. وهو مالا يستطيعه الشاب خلال فترة المراهقة ، وحتى بعدهاالسنوات قد تطول ، لأسباب كثيرة منها عدم قدرته على الاستقلال الاقتصادى فى هذه السن المبكرة ورغبته فى إتمام تعليمه عادة ، أو انتظاره حتى يجمع المهر المناسب، أو انتظار الزوج أو الزوجة المناسبة .. إلى غير ذلك من الأسباب الاقتصادية والإجتماعية .

ومن ثم يجد المراهق نفسه — مالم يوجه إلى طرق إعلاء الدافع الجنسى عن طريق الاندماج فى نشاطات ثقافية أو رياضية أو اجتماعية أو فنية ... أو نحو ذلك من أوجه النشاط . يشغل بها وقت فراغه ، وتقلل بالتالى من ضغط هذا الدافع عليه — يجد نفسه أمام أحد طريقين : فإما أن يلجأ إلى طرق الاشباع الجنسى الغير سليمة ، أو أن تطول به فترة الضغط . وكلا الأمرين له ضرره بالنسبة لصحة المراهق النفسية .

ومن الأسباب الأخرى ذات الأثر فى حدة المشكلة ، نوع التربية التى نعود عليها أطفالنا وشبابنا فأغلب الآباء ينظرون إلى الكلام فى الموضوعات الجنسية نظرة تحريم . بل منذ الصغر نترك للطفل حريته الكاملة فى مناقشة كل ما يتصل بأمور حياته . إلا إذا اتصل الأمر بهذا الموضوع .. فهنا الزجر والحزم . فى الوقت الذين يعلمون فيه حق العلم أن الدين نفسه لم يترك صغيرة أو كبيرة من شئون الجنس إلا ودرسها وناقشها بالتفصيل .

بل كثيراً ما تمتد هذه النظرة إلى المسئولين عن تربية النشء. كالسلطات التعليمية المسئولة والمدرسين . فكتب الصحة التى تدرس لتلاميذ مدارسنا تتضمن وصفاً لأجهزة جسم الإنسان جميعها .. للجهاز الهضمى والدورى

والتنفسى .. وغيرها فيما عدا الجهاز التناسلى . فليس له أثر فى هذه الكتب .. وكأنه ليس بدوره موجوداً فى جسم الإنسان .

هذه النظرة الغريبة للجهاز التناسلى ومعاملته تختلف عن بقية أجزاء الجسم تجعل له حرمة خاصة وحساسية خاصة عند الطفل تزيد مع الأيام . فإذا وصل مرحلة المراهقة وبدأ يهتم بهذا الجزء النامى من جسمه، لا يجد من الآباء أو المدرسين أو الكبار عموماً تشجيعاً للسؤال عما طرأ عليه من تغيرات ظاهرية وإحساسات داخلية ، تلك التغيرات والإحساسات التى لا يدرى لها سبباً ولا يعرفها معرفة حقيقية . ويزيدها تعقيداً ما يحاط بها من غموض وتكتم وشعور بالإثم والخطيئة . وهنا يقع الصدام بين الرغبة فى تفهم المسائل الجنسية وإرضائها وبين الموانع التى يجدها المراهق أمامه .. مما يؤدى به إلى أقسى أنواع الصراع النفسى فيلجأ إلى مصادر المعرفة والإرضاء بعيداً عن الوسط المألوف ، أقصد بعيداً عن الأبوين والأهل . يلجأ إلى زملائه مثلا يتفهم منهم ويجيبونه ، إلا أن إجاباتهم قد تضر ولا تفيد ، لأنهم جهلاء مثله بهذه المسائل ، بل وكثيراً ما تنطوى إجاباتهم على أنواع من المبالغات تصور الموضوع على غير حقيقته. وقد يترتب على ذلك شعور بالنقص يلازمه مع الأيام ، وقد يؤثر على حياته الجنسية عند الزواج ، ويعقد حياته بصفة عامة فى مستقبل أيامه .

أو قد يلجأ المراهق إلى الكتب والموضوعات التى تعالج هذه النواحى . وللأسف فإن أغلب الكتب التى تشمل عليها مكتبتنا العربية ، فى هذا الميدان، وأغلب المجلات التى بها من نفس النوع . بمعنى أنها تهتم بالإثارة وتضخيم المشكلات وبالمسائل المبالغ فيها أكثر مما تهتم بالحقائق العلمية المجردة. والنتيجة واحدة على أى حال .

ولإرضاء هذا الدافع الملح قد يلجأ المراهق إلى الطرق والعادات الغير سليمة التى يقبل عليها كارهاً والتى تتسبب فى قلقه وشعوره بالذنب وغير ذلك من الأضرار النفسية .

وكل هذه الأمور من شأنها أن تزيد من تعقيد تأثيرات الدافع الجنسى ، وتجعل منها مشكلة صعبة الحل .

ولدراسة المشكلة يحسن بنا أولا أن نتتبع مراحل النمو الجنسى ، نتعرض بعدها لبعض مظاهر الانحراف فى هذا النمو والمشاكل التى تنشأ نتيجة لذلك ، وخاصة مظاهر الانحراف المنتشرة بين المراهقين . وأخيراً وسائل علاج هذه المشكلة والتربية الجنسية .

مراحل النمو الجنسى :

تبدأ معالم النمو الجنسى كما يراها المحللون النفسيون مع الطفل منذ الميلاد . فهناك مظاهر للنشاط الجنسى نلاحظها على الأطفال منذ هذه السن المبكرة ، وإن تطورت هذه المظاهر وأخذت أشكالا متغايرة بإستمرار الطفل فى النمو ، حتى تنتهى فى صورتها السوية بالعملية الجنسية الطبيعية عند النضج الكامل .

ويمكن أن نميز بصفة عامة بين ثلاثة مراحل أو مراتب يمر بها النمو الجنسى عند الإنسان هذه المراحل هى :

١ — مرحلة الشهوية الذاتية .

٢ — المرحلة النرجسية .

٣ — مرحلة عشق الغير .

ونتتبع فيما يلى مظاهر النمو الجنسى فى هذه المراحل الثلاث :

١ — الشهوية الذاتية :

يتجه نشاط الطفل الجنسى فى هذه المرحلة إلى ذاته . فهو نظراً لصغر سنه وعدم قدرته على تمييز كيانه عن العالم الخارجى الذى يعيش فيه . أو إدراك موضوعات خارجية متميزة يوجه إليها ميوله الجنسية ، فإنه يتجه بهذه الميول نحو ذاته . ونظراً أيضاً لعدم تميز الجهاز التناسلى فى هذه المرحلة المبكرة من حياة الطفل بالوظيفة الجنسية ، فإن ميول الطفل الجنسية لا تتجه إلى مداعبة أعضاء هذا الجهاز فحسب ، بل يستخدم يديه فى مداعبة أجزاء جسمه بصفة عامة ، وفمه ومواضع الإخراج بصفة خاصة. ويجد فى هذه المداعبة لذة جنسية من نفس نوع اللذة الجنسية التى يشعر بها الكبار ، وإن لم تكن بنفس الدرجة من التميز .

وعملية الرضاعة تمثل من هذه الناحية مظهراً من مظاهر النمو الجنسى فى هذه المرحلة كذلك . فهى لا تقتصر على الوظيفة الفسيولوجية من حيث سد حاجة الجسم إلى الغذاء فحسب ، وإنما تشمل أيضاً — كما يرى المحللون النفسيون — عنصراً جنسياً . والدليل على ذلك أن الطفل يستمر فى مص ثدى الأم حتى بعد ارتوائه ، وهو لا ينشد فى هذه الحالة إشباع حاجته من لبن الأم ، بل الحصول على نوع من اللذة الجنسية عن طريق الفم . وإذا حرم من الثدى فإنه يعمد إلى وضع إصبعه فى فمه ، أو أى شىء يصل إليه فى فمه أيضاً ... وهكذا .

والنمو الجنسى عند الإنسان وإن استمر بعد ذلك ، وأخذ أشكالا أخرى لاتجاه الميل الجنسى ولموضوعات الممارسة الجنسية ، إلا أن بعض بقايا هذه المرحلة (الذاتية) تبقى وتثبت خلال المراحل التالية . ولا أدل على ذلك من شعور الفرد البالغ باللذة الجنسية نتيجة المداعبة مثلا ولمس أجزاء من جسمه ، وحصوله على لذة جنسية مشابهة نتيجة التقبيل ... إلى غير ذلك .

والعادة السرية أيضاً وحصول الفرد على المتعة الجنسية نتيجتها ، وإن اتجهت إلى العضو التناسلي بالذات .. إلا أنها بدورها بعض آثار هذه المرحلة وهكذا .

٢ – النرجسية :

وفى هذه المرحلة تكون ذات الطفل قد تميزت ، وأصبح الطفل أكثر إدراكاً لها ولتميزها فى العالم الخارجى . ومن ثم يتجه إلى هذه الذات ، فيتعشقها ويتخذ منها موضوعاً لتصريف طاقته الجنسية .

وقد أخذت هذه المرحلة اسمها الذى أطلقه عليها فرويد من أسطورة إغريقية نظر فيها «نرجس» إلى صورته فى مياه بحيرة ، فأعجب بنفسه إعجاباً شديداً وهام بذاته حباً ، فأخذ يطيل النظر إليها فى مياه البحيرة من فرط إعجابه بجماله حتى حولته الآلهة إلى الزهرة المعروفة بهذا الاسم .

وفى هذه المرحلة تتجه ميول الطفل إلى نفسه يتعشقها ويجد لذة من خلال عشقه لها .

وبالمثل قد تبقى آثار من هذه المرحلة مع الطفل بعد ذلك ، تتمثل فى إعجاب البالغ – ذكر أو أنثى – بعد ذلك بتركيب جسمه ، وشعوره بالمتعة نتيجة لذلك . أو تأمله لبعض أجزاء هذا الجسم ، أو وقوفه عارياً أمام المرآة ... أو نحو ذلك .

وإذا وقف النمو الجنسى عند حدود هذه المرحلة ، ولم يتدرج إلى المرحلة التالية . فإن الفرد عندما يكبر قد لا يشعر بحاجته إلى الزواج .. لأن ميوله لا تتطور وتتجه إلى الغير بل تبقى مركزة فى ذاته فحسب . ويكتفى بعشق هذه

الذات والحصول على متعته الجنسية من خلالها .. عن التفكير فى موضوعات خارجية للحصول على المتعة الجنسية .

٣ — عشق الغير :

وفى هذه المرحلة تتحول الميول الجنسية إلى موضوعات خارجية. وهى نتجة أولا إلى أفراد من نفس جنس الفرد ، ثم تترقى وتتحول إلى أفراد من الجنس المخالف .

ويجب ألا يفهم من كلامنا .. أن الميول الجنسية تتجه أولا إلى أفراد من نفس الجنس .. أن الطفل يمارس اتصالا جنسياً سافراً مع أفراد آخرين من نفس جنسه . فالتطور الطبيعى ومرور الطفل بهذه المرحلة يعنى أن حب الطفل ومداعباته ولعبه يكون أثناءها متجهاً إلى الأطفال الذين من نفس جنسه. لنجد الولد مثلا يكره صحبة البنات ولا يلعب إلا مع الأولاد، ولا يداعب غيرهم . ونجد البنات بالمثل يعاملن الأولاد نفس المعاملة . ثم تتطور هذه الميول ويبدأ كل فريق فى البحث عن علاقات مع أفراد الجنس الآخر .

ويتطلب النمو السليم مرور الطفل بهذه المراحل جميعها ، وانتقاله من واحدة إلى الأخرى . وتوقفه عند واحدة منها له آثاره السيئة . ويترتب عليه اضطراب الوظيفة الجنسية ، وعدم وصول الطفل فى النهاية إلى النضج الكامل لهذه الوظيفة ، الذى يتمثل فى تصريفه طاقته الغريزية بشكل سليم مع الجنس الآخر .

ويطلق على توقف النمو عند مرحلة بالذات ، واستمراريته بعد ذلك بالشكل الذى توقف عنده بالتثبيت . وقد رأينا آثار التثبيت فى المرحلتين السابقتين .

وفى هذه المرحلة (عشق الغير) قد تثبت ميول الطفل الجنسية عند الأفراد الذين من نفس جنسه ولا ترتقى فتتجه إلى الجنس الآخر . وإذا ثبتت ميول الطفل عند هذا الحد، تظهر أنواع مختلفة من الشذوذ الجنسى أوضحها الجنسية المثلية حيث نجد كل نوع من الجنسين متعته بالاتصال بأفراد من نفس جنسه .. وهكذا .

الموقف الأوديبى :

تعلق الطفل بالكبار من الجنس الآخر يبدأ أول ما يبدأ بالأبوين . لأنهما هما اللذان يتصل بهما اتصالا مباشراً وهما اللذان يشبعان كل رغباته .

إلا أن درجة تعلق الطفل بالنسبة للأم أو الأب تتوقف على نوع جنسه . إذ بالتدريج يبدأ الولد فى الاتجاه نحو الأم ، وكذلك تبدأ البنت فى الاتجاه نحو الأب . مثل هذه التطورات فى العلاقة الجنسية التى تربط كلا من الولد والبنت بأحد الأبوين من الجنس المخالف ، يترتب عليه نوع من الصراع ينتهى بما يسمى بالموقف الأوديبى . أو تكون عقدة أوديب بالنسبة للولد . أما البنت فينتهى عندها بنشأة عقدة ألكترا .

ولتوضيح هذا النوع من الصراع نذكر أن الطفل عندما يميل إلى الأم ، يميل إلى امتلاكها والاستحواذ عليها لنفسه. ولكنه يجد فى الأب منافساً خطيراً فى حبه للأم ، لأنه يهدد هذه العلاقة ، ولأنه يرى نفسه – أعنى الطفل – غير قادر على التغلب عليه . فتبدأ كراهيته للأب . ويغذى هذه الكراهية موقف الأب منه كمؤدب ومرب . فهو الذى يصدر إليه الأوامر ، وهو الذى يعاقبه ، وهو الذى يتدخل فى كل مجريات حياته . وتصل به الكراهية أحياناً إلى درجة يتمنى فيها موت الأب والتخلص منه ومن منافسته .

ولكن هذا الأب نفسه ــ من جهة أخرى ــ هو موضع إعجاب الطفل وموضع فخره لأنه ينتمى إليه ، ولأنه هو الذى يحقق له كل رغباته ، ولأنه هو الذى يدافع عنه عند اعتداء الآخرين عليه ويحتمى به ، ولأن صورته فى ذهنههى صورة الإنسان الكبير الذى لا يقاوم .

فالابن من جهة يكره الأب ويحقد عليه لمنافسته له فى حب أمه وامتلاكها ومن جهة أخرى يعجب به ويرضى عن إشباعه لحاجاته . ونتيجة هذا الموقف يتعرض الطفل لنوع من الصراع . وهذا الصراع هو الذى يؤدى إلى عقدة أوديب .

وقد أخذ فرويد هذا الاسم أيضا من أسطورة إغريقية قديمة تدور حول «أوديب» الملك . الذى حارب أباه وقتله ، وتزوج أمه دون أن يعرف أنها أمه . فلما تبين له الأمر بعد ذلك استعظم فعلته وفقأ عينيه تكفيراً له على جرمه . ومن هنا أخذ فرويد اسم «أوديب» للتدليل على الرغبة اللاشعورية الكامنة فى أعماق الطفل للتخلص من الأب وامتلاك الأم .

هذا ، وتمر البنت بدورها بنوع مشابه من الصراع يؤدى بها إلى عقدة ألكترا ...

ويتبين لنا من هذا العرض نوع الصراع الذى ينشأ داخل أعماق الطفل ، ونوع المراحل التى يمر بها نموه الجنسى ، والتى تنتهى إذا استمر هذا النمو فى طريقه الطبيعى إلى نضج الوظيفة الجنسية وإلى اتجاهها إلى العلاقة السوية بالجنس الآخر .

مظاهر الانحراف الجنسى :

هناك أنواع كثيرة ودرجات متباينة للانحراف الجنسى . منها ما يقتصر

على الفرد نفسه ، وإشباعه رغبته الجنسية عن طريق جسمه هو كالعادة السرية ، شائعة الانتشار بين المراهقين والشباب فى الفترة السابقة لزواجهم . ومنها ما يتجه إلى أفراد آخرين من نفس الجنس (الجنسية المثلية) كاللواط والمساحقة ، وهى أقل انتشاراً . ومنها ما لا يقتصر على الرغبة الجنسية وحدها بل ترتبط فيه هذه الرغبة بالرغبة فى الإيذاء (السادية) . أو العكس ترتبط بالخضوع للجنس الآخر وإيذائه له .

ومنها الأكثر تطرفاً والأندر حدوثاً ، مثل اللجوء إلى جرائم القتل ، الجنسية ، ومواقعة جثث الموتى .... الخ .

ونتعرض فيما يلى للشائع من هذه الانحرافات وخاصة العادة السرية والجنسية المثلية ، من حيث الأسباب التى تؤدى إلى كل منهما ، والعوامل المؤثرة فيهما ، وطرق مقاومتهما ووقاية الشباب منهما .

العادة السرية :

تكاد العادة السرية أن تكون صفة من صفات مرحلة المراهقة يمر بها كل فتى وفتاة . فندر من المراهقين من لم يمارس هذه العادة . وقليل منهم من يتمكن من التخلص منها تماماً قبل الزواج .

ويكثر القيام بها عند الجنسين فى الوقت الذى يبلغ فيه الدافع الجنسى منتهى شدته ، وذلك عند البلوغ الذى غالباً ما يكون فى سن الثانية عشرة عند البنات والثالثة عشرة عند البنين إلى نهاية مرحلة المراهقة فى الثامنة عشرة تقريباً .

والسلوك الطبيعى يقتضى الكف عنها متى بلغ الإنسان سن النضج والرجولة أو الأنوثة الكاملتين وتعرف على شتى نواحى الحياة وبدأ يعتد

بنفسه ، ويتغير اهتمامه الجنسى من العبث بأجزاء جسمه إلى السعى نحو تصريف هذا الاهتمام مع فرد من الجنس الآخر عن الطريق الطبيعى وهو الزواج .

ويمارسها المراهقون عادة بالعبث بعضو التناسل باليد أو عن طريق احتكاك الفخذين وخاصة بالنسبة للبنات أو عن طريق الاحتكاك بأى شئ آخر .

ويبدأ الفتى أو الفتاة ممارسة هذه العادة بعد سماعه عنها أو محاكاة لزملائه ، أو نتيجة لمخالطة الشبان أو البنات بعضهم ببعض . وإن كانت أغلبيتهم يلجأون إليها من تلقاء أنفسهم ، ويحرصون فى الغالب على ألا يشعر أحد بممارستهم لها . ويتكتمون أمرها فى أغلب الأحوال . وتشجعهم على ممارستها الصور العارية أو شبه العارية ، أو الروايات والقصص الجنسية ، وغير ذلك من الموضوعات التى تلهب خيال المراهقين وتحرك دوافعهم الجنسية ، فيلجأون إليها — أقصد هذه العادة — كمتنفس لتصريف هذا الدوافع .

ونظراً لشعور المراهق — فتى أو فتاة — بأن ممارسته لهذه العادة أمر غير طبيعى وأنه عبث ، ونظراً للتكتم والسرية التى تحاط بها هذه الممارسة ، وأيضا لما يتردد بين المراهقين من أنها ضد الدين وأن لها آثاراً غاية فى السوء — صحية وغير صحية — وأنها تؤثر على النشاط الجنسى فى المستقبل بعد الزواج ... فإنهم يقعون تحت تأثير نوع من الصراع لا يجدون له حلا فهم من جهة يرغبون فى الإقلاع عن هذه العادة ويشعرون بالخزى والإثم وضعف الإرادة بعد كل مرة يمارسونها فيها ، ومن جهة أخرى يضطرون تحت تأثير دوافعهم الجنسية المتزايدة إلى هذه الممارسة ، ولا يتمكنون من التخلص منها . وإن تمكن الواحد منهم من التخلص منها لبعض الوقت ، أو من التقليل من ممارستها ، أو شغلته عنها بعض الشواغل .. فإنه لن يلبث أن يعود إليها ... وهكذا .

ولذلك لا يمكن النظر إليها على أساس أنها بديل للعملية الجنسية الطبيعية التى يشترك فيها زوجان متوافقان ، والتى لا يتعرض فيها الزوجان لمشاعر الإثم والخطيئة أو الخوف أو ما أشبه ، وهى من هذه الناحية (أى العادة السرية) طريقة للتحايل على إشباع الدافع الجنسى دون القيام بالعملية الطبيعية .

ولكن فى الوقت نفسه يجب ألا نغالى من تأثيراتها الجسمية . فالاسراف فيها قد لا تتجاوز تأثيراته تأثيرات الإسراف فى القيام بالعملية الجنسية . ويجب ألا نذهب أيضاً مع القائلين بأنها تستنزف الدم أو أنها تورث الجنون ، أو أنها تفقد الفرد قدرته على القيام بالنشاط الجنسى الطبيعى فى المستقبل أو نحو ذلك فكل هذه الأمور مغالى فيها ولا تمثل الحقيقة تماماً .

ولا نقصد بهذا التوضيح تشجيع المراهقين على ممارستها . بل على العكس لا زلنا نقول أنها اتجاه غير طبيعى وغير سوى لتصريف الطاقة ، الجنسية .. وأنه من الأفضل تصريف هذه الطاقة عن طريق الاندماج فى نشاطات أخرى من النوع الذى يميل إليه المراهقين وأن لها جوانبها النفسية السيئة .. بل من علماء النفس من ينسب إليها بعض الأمراض النفسية المعروفة مثل مرض النيورستانيا ، الذى يرجعه فرويد إلى الإفراط فى القيام بهذه العادة بالذات ، ويرجعه غيره إلى التوتر النفسى والتعب المصاحب لها أو إلى النتائج التى تترتب عليها والمشاكل النفسية التى ترتبط بالرغبة فى تركها مع عدم القدرة على تنفيذ ذلك ... الخ . وإنما يدفعنا إلى ذلك وضع الأمور فى نصابها الصحيح أمام المراهقين والشباب ليتعرفوا على أبعادها الحقيقية وأضرارها ، وحتى لا يقعوا تحت الشعور بالخوف من المرض والجنون ، إذ أن التأثيرات النفسية لهذه العوامل الأخيرة وغيرها أشد وأقوى من تأثيراتها على جسم الإنسان وصحته .

الجنسية المثلية :

تعنى الجنسية المثلية العلاقة التى تقوم بين فردين من جنس واحد وتعرف بين الذكور باللواط وبين الإناث بالمساحقة أو السحاق .

ولا تعنى الجنسية المثلية بالضرورة أن يتم بين الفردين (من نفس الجنس) اتصال من نوع الاتصال الجنسى بين الذكر والأنثى ، بل تعنى وجود ميل ذى طبيعة جنسية مشترك بين الفردين . وهذا الميل يتدرج من مجرد الحب والتعاطف بين فردين من نفس الجنس .. الى الشكل الكامل للجنسية المثلية الذى يتمثل فى المعاشرة الفعلية كما تحدث بين الذكر والأنثى .

وكثيراً ما يبدأ هذا الميل بصداقة وطيدة تجمع اثنين شابين أو فتاتين .. تلميذتين مثلا فى المدرسة، فتتبادلان الود والتعاطف ، وتتشاركان فى همومهما ومتاعبهما وتكثر زيارتهما لبعضهما البعض واتصالاتهما ، وتنتهى فى النهاية بتفريغ هذه الهموم والتنفيس عن هذه المتاعب فى علاقات من هذا النوع .

وقد تقف حدود العلاقة عند مجرد الإعجاب الشديد والوله من جانب واحد . كالصلة التى تجمع بين تلميذة مثلا وبين مدرسة تعجب بها وتحبها وتداوم على الاتصال بها والكلام معها وزيارتها ، وتقديم الهدايا إليهــا فى المناسبات، وتكوين علاقة دائمة أو شبه دائمة معها .. إلى غير ذلك من التصرفات .. التى تعرفها المدرسة فى الغالب وتدرك الدوافع التى وراءها ، ولذلك تحرص على ألا تتعدى العلاقة بينهما هذه الحدود . وتنتهى هذه العلاقة عادة عندما تتزوج الفتاة وتشغلها مشاكل الحياة .

والجنسية المثلية من أكثر الانحرافات إنتشاراً فى بلدان العالم المختلفة .. متخلفة أو متقدمة . بل ربما كان انتشارها والاعتراف بها فى بلاد العالم المتقدمة

(اقتصادياً) أكثر بكثير . بل أصبحنا نسمع فى هذه البلاد من يدافع عنها ، ليس بين العاديين من الناس ، وإنما بين رجال الفكر والعلم . بل ومن يعترف بممارسته لها على أساس أنها شيء يتصل بحياته وبحريته الشخصية ، وأن لا ضرر منها على الآخرين . وفى هذا مغالطة كبيرة . إذ أن قوام المجتمع يقوم فى حقيقته على العلاقة السوية بين أفراده ، وعلى اللبنة الأولى التى تتمثل فى الأسرة الصغيرة التى تتكون من زوج وزوجة وأولاد ، وعلى أسس من التقاليد والعادات والقيم ، تسير عليها الأسرة فى تنشئتها لأولادها ، ويسير عليها أفراد المجتمع بصفة عامة فى حياتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض . ومن ثم يمثل هذا النوع من العلاقات خطراً على المجتمع ، إن لم يظهر فى المدى القريب ، فلابد وأن يظهر ، إذا سادته هذه الانحرافات وبدأ تأثيرها مع الزمن ، فى تفكك الأسرة وعدم توافر الجو الأسرى السليم لتربية الأبناء .

ويرجع السبب فى هذا النوع من الانحرافات إلى طبيعة الظروف ونوع العادات والتقاليد التى تسود مجتمعاً من المجتمعات . فهى فى المجتمعات المغلقة التى لا تسمح للفتاة بالخروج ، والتى تظل الفتاة فيها قابعة بين جدران البيت تنتظر زوج المستقبل .. الذى قد يطول انتظاره . ولا تجد أمامها غير بنات جنسها ، قد تنحرف ، بسبب الظروف وعدم وجود ما يشغلها ، أو وجود منطلق آخر اجتماعى أو ثقافى أو غيره تخفف عن طريقه بعض طاقتها الحيوية ، فتمارس هذا النوع من الانحرافات .

وينطبق نفس الوصف على الشباب من الذكور اللذين يعيشون ظروفاً مشابهة ، ولا يجدون منطلقاً لتصريف طاقاتهم الانفعالية غير هذا السبيل .

وتؤدى الحروب أحياناً إلى نفس النتيجة . نذكر مثالا لذلك ما حدث

لأوربا نتيجة الحرب العالمية الثانية وفقدانها الكثير من رجالها وشبابها ، وما ترتب على ذلك من انخفاض نسبة الذكور إلى الإناث إنخفاضاً كبيراً . بحيث أصبحت فرصة الزواج أمام المرأة قليلة للغاية .

وإذا كان هذا هو السبب بالنسبة للمجتمعات المغلقة أو للبلدان التي تعرضت للحروب والكوارث ، فإن السبب يختلف بالنسبة لكثير من بلدان العالم اليوم . وبلدان أوربا وأمريكا بالذات التي لا تشكو من هذا الوضع ولا تتأثر بمثل هذا النوع من العوامل والأسباب ، وإنما يشكو شبابها من الفراغ ، ومن استنفاذ أنواع المتعة المشروعة وغير المشروعة ، والذين أصبحت لا ترضيهم ولا تشبع غرائزهم غير أنواع المتعة المسرفة في الانحراف ، والذين أصبحوا في مأمن من القانون — الذي يعترف في بلدان كثيرة منها بهذه الأنواع من الانحرافات — وفي مأمن من غضب المجتمع ونقمته في الوقت نفسه .

ويصعب علاج هذه الأنواع من الانحرافات إذ تأصلت في ذات الفرد وأخذت شكل العادة ، التي لا يستطيع صاحبها أن يتركها أو يرضى بغيرها لإرضاء ميوله ودوافعه .

وإنما يسهل العلاج لو اكتشفت بوادرها من أول الأمر وعرفت الأسباب الكامنة التي وراءها ، وعولجت هذه الأسباب ، وعمل الآباء من جهة ، وغيرهم من المسئولين من جهة أخرى ، على تنظيم أوقات فراغهم وتوجيه طاقتهم الحيوية إلى أوجه مختلفة من النشاط ، إجتماعية وثقافية وغيرها ، تستوعبها وتخفف من تأثيراتها . وأيضاً عن طريق المناقشات الهادئة المتزنة التي تزيح عن أنفسهم أسباب القلق والتوتر ، حتى تنتهي هذه الفترة المضطربة من حياتهم ، وحتى يوفقوا في النهاية إلى زواج يرضي ميولهم ورغباتهم ، وتستقر عن طريقه حياتهم .

وأهم من ذلك كله أن نعمل على وقايتهم من أول الأمر . وألا نتركهم حتى يقعوا فريسة هذه الانحرافات . وإنما نعنى بتربيتهم تربية جنسية سليمة .. وهو الموضوع الذى نهتم به فيما يلى .

التربية الجنسية :

إن أفضل طريقة لمواجهة مشاكل الجنس ، وتساعد المراهق على التغلب عليها ، هى تربيته منذ الصغر تربية جنسية سليمة ، وإعداده للتطورات والتغيرات التى يمر بها حتى لا يفاجأ بها ، وحتى يعرف طريقه خلال المشاكل التى يتعرض لها على ضوء معرفته بطبيعة هذه التطورات والتغيرات .

والتربية الجنسية لا تقتصر على مرحلة دون مرحلة ، بل تبدأ مع الطفل منذ طفولته المبكرة ، وبالقدر الذى يسمح به نموه العقلى ، وتستمر معه خلال مراحل الطفولة المتتالية ، وتعده فى نهايتها لمرحلة المراهقة ، ثم تأخذ فى هذه المرحلة الأخيرة شكلا يناسب النمو المتزايد للنشاط الجنسى خلالها وللمشاكل المترتبة عليه .

فكما سبق أن رأينا يبدأ النمو الجنسى عند الطفل منذ سنوات عمره الأولى ، وتبدأ بالتالى اهتماماته واستفساراته . ولذلك يحسن أن يدرك طبيعة الحياة الجنسية عند الحيوان وعند الإنسان ، وأن يتلقى بالنسبة لها إجابات صحيحة تساعده على تكوين فكرة سليمة عن طبيعة هذه الحياة ، لأن الطفل شغوف بالمعرفة وخاصة بالأشياء المبهمة المحاطة بالأسرار . فمنعه والحالة هذه ، أو الرد عليه بجفاء ، أو تغيير الموضوع كلما تعرض الطفل لأمر من أمور الجنس ، أو لسؤال يتصل به ، أو زجره ، أو نحو ذلك من التصرفات التى يلجأ إليها الآباء فى العادة ، كلما واجههم أطفالهم بأسئلة تتصل بالجنس من قريب أو بعيد .. لن يؤدى بالطفل

إلى الكف عن استفساراته أو عدم الاهتمام بالموضوع ، بل على العكس سيزيد من إهتمام الطفل ، وسيجعله يلجأ إلى مصادر أخرى للبحث . فيلجأ مثلا إلى الأطفال الأكبر سناً الذين تعوزهم الإجابة الصحيحة والمعرفة الحقيقية أو غير ذلك من المصادر التي يمكن أن يستقي منها معلوماته حول هذا الموضوع . والنتيجة هي تشويه صورة الجنس في ذهن الطفل ، وشعوره بالنسبة له بالأثم والخطيئة ، نتيجة إعتقاده بأن الكلام في هذا الموضوع .. عيب .. وحرام .. إلى غير ذلك من الأوصاف التي يوصف بها الجنس عادة كلما دار الحديث حوله . وأيضاً شعوره بالقلق والخوف وغير ذلك من النتائج التي قد تؤدى إلى انحراف الطفل ، وتؤثر في مستقبل حياته بصفة عامة ، وخاصة حياته الجنسية.

ولكن ليس معنى هذا أن نناقش موضوعات الجنس مع الطفل بأية صورة أو أن نشركه في مناقشاتنا وأحاديثنا التي تدور حول هذا الموضوع ، والتي نقصد بها مجرد تزجية وقت الفراغ ، أو التي تدور حول النكات المكشوفة ، وتستخدم فيها الألفاظ الخارجة التي تجرح حياء الطفل وتثير فيه الشعور بالإشمئزاز وتشوه من حقيقة الجنس في نظره . بل يجب أن تلتزم مناقشاتنا معه وردودنا على أسئلته بالحقائق التي تتصل بهذا الموضوع ، والتي يكتسب عن طريقها المدلولات العلمية والألفاظ التي تعبر عن طبيعة النشاط الجنسي وتركيب الجهاز التناسلي ، وأيضاً المعلومات الكافية عن وظيفة هذا الجهاز ، والدور الذي يقوم به في حياة الإنسان ، حسب ما تسمح به إمكانيات الطفل وقدراته على الفهم والإستيعاب .

وأن نساعد الطفل في جميع الأحوال على أن يدرك أن كل عضو من أعضاء جسمه ، وكل طور من أطوار النمو التي يمر بها ، أمر مرغوب فيه ، وله وظيفة معينة يؤديها . وأنه، وإن كان من المهم ألا نعطي لعضو من هذه

الأعضاء ، أو لجهاز من أجهزة الجسم أهمية خاصة ونقصر اهتمامنا عليه ، ونقلق من أجله ، إلا أننا من ناحية أخرى يجب ألا نهمل هذا العضو ونحذر الكلام عنه ، بل نعاملها جميعاً نفس المعاملة ونهتم بها نفس الاهتمام . وندرس الدور التى تقوم به فى حياتنا . وما يجب علينا أن ننتبه إليه خاصاً بها .

وهناك أسئلة تدور حول الجنس يحتار الآباء بالنسبة لها ، ولا يعرفون كيف يكون الجواب عليها، عندما يسأل الطفل مثلا :

- كيف جئت إلى هذه الحياة ؟
- لماذا جئت بنتاً وليس ولداً ؟
- لماذا تنجب الأمهات بالذات ولا ينجب الآباء ؟

أو نحو ذلك من الأسئلة التى تربك الأب والأم ، ولا يعرفان طريقهما للإجابة عليها .

والقاعدة العامة التى يجب أن يلتزمها الأب والأم ويلتزمها الكبار بصفة عامة ، فى ردودهم على مثل هذه الأسئلة هى ما ذكرت .. أن يجيبوا الطفل بصدق وبصراحة وبالقدر الذى يتمكن الطفل من فهمه . فلن يضير الطفل أبداً أن يقول له الأب بأنه جاء من بطن أمه تماماً كما تضع القطة صغارها . وهى أمور يشاهدها الطفل ويعقلها . وفى أول الأمر قد يصعب على الطفل الصغير أن يفهم أنه يأتى إلى الحياة نتيجة عملية يشترك فيها اثنان هما الأب والأم . ولكن بالتدريج ، وعن طريق الوقائع التى يشاهدها من اتصال ذكور الحيوانات بأناثها ، وحدوث الولادة بعد ذلك ، يمكن أن يفهم الطفل بعض الحقائق الخاصة بهذا الموضوع . أما الرد على أسئلته ردوداً غير حقيقية ، ففضلا عن أنها تشوه الحقيقة ولا تساعد على نمو الطفل وتربيته تربية جنسية سليمة ، فإن

الطفل لن يلبث أن يكتشف زيفها ، ويفقد ثقته بالمعلومات التى يدلى بها الأبوان ، ويبحث عن مصادر أخرى يستقى منها معلوماته ، وأغلبها — كما ذكرت — مصادر مضللة أو تهدف إلى الإثارة فحسب ، ولكل هذا نتائجه الضارة بالنسبة لسلوك الطفل ومستقبل حياته .

وفى نهاية الطفولة وقبيل المراهقة ، يمكن أن تتطرق المعلومات والحقائق التى تعطى للطفل إلى نواحى أخرى أكثر تفصيلا .

وقد يكون من الأفضل عندما نصل إلى هذه المرحلة ، أن تتولى المدرسة هذا الواجب ، إذ تتاح لها من خلال دروس الأحياء أن يعرف الطفل قصة الحياة ، وأن يتعرف على الحياة الجنسية عند الكائنات الحية . بل ويمكن عن طريق الأفلام السينمائية ، وعن طريق زيارة المتاحف الصحية وغير ذلك من الوسائل أن نتيح للطفل إمكانيات أكثر للفهم واستيعاب هذه الحقائق ، التى يحسن أن يلم بها قبل أن تأتى مرحلة المراهقة .

إذ من المهم جداً إعداده لهذه المرحلة ، ومعرفته مسبقاً بالتغيرات التى سيتعرض لها خلالها ، حتى لا يفاجأ بها وحتى لا يصدم . وخاصة بالنسبة للتغيرات ذات الطبيعة الحساسة ، مثل حيض الفتاة أو احتلام الفتى .. أو نحو ذلك . عن طريق تعريفه بالحقائق الخاصة بالجهاز التناسلى ووظيفته ، والصورة التى يعمل بها . فتعرف الفتاة مثلا طبيعة الدورة الشهرية ومدتها ، وبعض المتاعب التى تصاحبها ، وما يجب عليها أن تفعله للتخلص من هذه المتاعب ، حتى تتقبل الفتاة هذه الأمور وتعد نفسها لها ، وتتجنب كل ما من شأنه أن يعقد الأمور بالنسبة لها .

أما ترك الفتى والفتاة لشأنهما ليستقبلا هذه التغيرات التى تطرأ على تكوينهما

ففضلا عن مشاعر الخوف والقلق من أن تكون هذه التغيرات غير طبيعية ، وأن يكون ما حدث لها شيئاً غير عادى . أو مشاعر الإشمئزاز نتيجة تربية الابن على استنكار كل الأمور التى تتصل بالجنس ، أو مشاعر الإثم نتيجة إحاطة الدافع الجنسى وكل ما يتعلق به ووصمه بالخطيئة والذنب .. فإن جهل المراهق بحقيقة ما يطرأ عليه قد يعرضه أيضاً لبعض المشاكل والانحرافات التى تعرضنا لبعض أنواعها فيما سبق خاصاً بهذا الموضوع ..

ومن المهم ايضاً أن يتعرف المراهق على كيفية التصرف بالنسبة لهـذا الجديد وكيف يواجهه . والمزالق وأنواع الانحرافات التى هو عرضة لها نتيجته .. إذا لم يتبع الطريق السليم . يجب أن يعرف مثلا كل ما يتعلق بالعادة السرية ، من حيث أضرارها وكل المشاعر المصاحبة لها . وأن يقف على الحقيقة الكاملة الخاصة بها . على النحو الذى سبق أن أوضحناه عند الكلام عن هذه العادة . وأن يعرف أيضاً أسباب الجنسية المثلية والظروف التى تهيىء للانحدار نحوها والتردى فيها . وطرق مواجهة هذه الظروف ، وتوقى العوامل والأسباب التى تجرف الشباب نحو هاوية هذه الانحرافات .

والأخذ بيد الفتى والفتاة نحو الطريق الآمن . طريق إعلاء الدافع الجنسى حتى تمر هذه الفترة من حياته وحياتها بسلام ، وحتى يصلا إلى شاطىء الأمان والاستقرار عن طريق الزواج .. هو أحد أهداف التربية الجنسية الأساسية ، وأمر ضرورى وواجب من واجبات البيت والمدرسة فى هذه الفترة من حياتهما.

ونعنى بالإعلاء تغيير مجرى الرغبة من طريقها الأصلى الذى تقف دونه عقبات وصعوبات ، إلى طريق آخر أو شكل آخر نرضى عنه ونقره . أو بمعنى آخر بدل أن تكون كل اهتمامات الشاب منحصرة فى إرضاء الدافع

الجنسى عن طريق أمور تتصل بهذا الدافع اتصالا مباشراً كممارسة العادةالسرية أو نحو ذلك ، يمكن تصريف طاقتهم الحيوية عن طريق مجالات أخــرى واهتمامات تستنفذ هذه الطاقة وتعود فى الوقت نفسه على الشباب ببعض الفوائد كتشجيعهم على الاندماجفى الفرق الرياضية أو الاشتراك فى الرحلاتالدراسية أو ممارسة هواية من الهوايات المفيدة أو نحو ذلك من الوسائل والغايات . وأن تكون أوجه النشاط التى نوجههم إليها من النوع الذى يميل إليه كل شاب . حتى إذا إندمج الشاب فيها أمكنه أن يتغلب على أموره الجنسية ، أو يخفض — على الأقل — من قوة تأثيرها وضغطها .

إنه يشعر بالفعل أنه ضحيتها وأن ما يمارسه أمر غير مرغوب فيه ، ويقلق من أجل ذلك ، ويرغب فى التخلص من أسباب قلقه . ومن واجبنا أننساعده على تحقيق هذه الغاية .

وفى جميع الأحوال يجب الاهتمام بتنظيم أوقات فراغ الشباب ومساعدتهم على ذلك ، وتوفير الوسائل والإمكانيات التى تحقق هذه الغاية كنوادى الشباب والرياضة والنوادى الثقافية .. أو غير ذلك . إذ أن المشكلة الأساسية فىتصريف طاقة الشباب الحيوية إنما تكمن فى وقت الفراغ الذى لا يعرف الشاب كيف يملأه . وأسهل السبل لملئه هى الاتجاه نحو الإشباعات السهلة كقراءة الروايات العاطفية ، أو التسكع مع الرفاق على نواصى الشوارع أو فى المقاهى،ومشاكسة الفتيات أو تتبعهن .. أو نحو ذلك من التصرفات التى ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالجنس ، والتى تنتهى آخر الأمر بصورة من صور الانحراف الجنسى .

وكذلك الحال بالنسبة للفتاة التى لا تعرف كيف تقضى وقتها ، وتكتفى فى العادة بملازمة البيت ، وقراءة بعض الروايات العاطفية بالمثل ، أو زيارة

زميلاتها وصديقاتها وقطع الوقت بأحاديث مشابهة متكررة .. والنتيجة فى كلتا الحالتين — أعنى بالنسبة للشاب والفتاة — واحدة على أية حال .

نخلص مما تقدم بضرورة الاهتمام بتربية أبنائنا تربية جنسية سليمةومناقشتهم فى كل ما يتصل بالأمور الجنسية مناقشة صريحة ، والإجابة بصدق على كل ما يسألون عنه بخصوصها ، وتوجيههم على ضوء هذه المناقشات وعلى ضوء المعرفة الضرورية بحياة الإنسان الجنسية توجيهاً سليماً .

لأن عدم الإجابة على أسئلتهم أو تعنيفهم عليها ، سيجعل لهذه الأمور أهمية خاصة عندهم . وستجعلهم يلجأون — كما ذكرنا — إلى مصادر أخرى يستقون منها معلوماتهم ، التى تكون فى أغلب الأحوال غير حقيقية ومبالغاً فيها .

وينبغى أن يقر فى الأذهان فى جميع الأحوال ، أن الجنس فى حد ذاته ليس مشكلة ، ولكنه أحد مظاهر الحياة السوية . وأن الإنسان يتدرج فىمراحل النمو الجنسى المختلفة كما يتدرج فى مراحل النمو الجسمى الأخرى . وأنه قد يعترى النمو الجنسى بعض التغيرات ، شأنه فى ذلك شأن مظاهر النمو الأخرى ، وأن الفرد يتعلم خلال حياته كيف يتكيف لهذه التغيرات . وليس ثمة داع لأن نجعل الشاب يشعر بأن الجنس معضلة يجب أن يقاومها ويتغلب عليها .. أو أنه مع الجنس فى حرب يجب أن ينتصر فيها .

مشكلات الزواج :

تنبع مشاكل الزواج من المشكلة السابقة — أقصد المشكلة الجنسية — وترتبط بها من بعض نواحيها ، وإن كان الزواج فى أصله هو الطريق السوى لمواجهة كل المشاكل الجنسية .

وقد تساءلت عندما فكرت فى الزواج كمشكلة تواجه الشباب . كيف يكون الزواج مشكلة وهو النهج الطبيعى الذى يجب أن يتجه نحوه الشباب لكى يستقروا ، ولكى تتحدد أمامهم أهداف معينة وآمال تتصل ببناء الأسـرة وتدعيمها ، وحتى يأخذ كل منهم دوره الكامل فى الحياة .

وهو الطريق المحدد الذى أوصى به الدين ، والذى نزل فيه من التشريع السماوى مالم ينزل فى موضوع آخر . هو علة النسل وسبب التكاثر وأصل الحياة فكيف يكون مشكلة ؟

ثم ساءلت نفسى ثانية : وهل الزواج بالنسبة لشبابنا أمر طبيعى حقاً ؟ وهل هو يسير فى هذه الحدود ؟ وهل الطريق إليه معبد .. خال من العوائق والصعوبات ؟

ولم أتردد عند هذه الأسئلة الأخيرة . فالزواج عندنا ليس بالأمر الهين السهل ، وليس بالأمر الطبيعى فهو إذاً مشكلة. ولكن ما الذى جعل منه مشكلة ؟

هنالك فى الواقع أسباب كثيرة . هناك الحقيقة التى أشرت إليها فيما تقدم ، وهى أن الفتى والفتاة يصلان إلى تمام نضجهما وبلوغهما فى بلادنا فى سن مبكرة نسبياً . وهذا معناه أن الحاجة للزواج تظهر فى وقت مبكر لا يستطيع الشاب فيه أن يستقل بنفسه وينشىء بيتاً ، لأنه لا يكون قد انتهى بعد من تعليمه ، ولم يكتسب بعد مهنة يعيش منها .

وحتى إذا عمل فى سن مبكرة ، فنادراً ما يوافق الأبوان على زواجه ، أو يوافق هو نفسه عليه .

إذ أن تعقد الحياة التى نعيشها فى الوقت الحاضر يتطلب وصول الفتى أولا

إلى مستوى معين من القدرة الاقتصادية يجعله أقدر على الوفاء بمستلزمات البيت وتكوين أسرة ، وتوفير الحياة لها بالشكل الذى يرضى عنه ، وبالصورة التى توائمه وتوائم شريكة حياته .. الصورة التى تستوفى مستلزمات البيت الحديث وكمالياته .

وصورة بيت الزواج .. أو عش الزوجية كما يفضل أن يسميه الكثيرون – وهى ليست تسمية عفوية بل لعلها تفسر السبب الذى أشير إليه – صورة هذا البيت .. أو العش .. فى ذهن الشباب صورة خيالية يتصورون أنها ستحقق لهم كل أنواع المتعة والسعادة .. صورة عاشروها زمناً وتخيلوها ليلا ونهاراً . وبنوها طوبة طوبة ، وفكروا فى كل ركن من أركانها كيف يكون . وفى كل موضع منها وشكله المطلوب .

والنزول بهذه الصورة الخيالية إلى أرض الواقع ، أو بمعنى آخر ، وضعها موضع التنفيذ يتطلب الشىء الكثير .

ولعل هذا هو أحد الأسباب التى تجعل الشباب يؤجل الفكرة من وقت إلى وقت ، حتى تمكنه ظروفه من تحقيق ما يصبو إليه .

وليت الأمر يقتصر على تأثيث البيت ، بل هناك أيضاً المهر والمتطلبات المادية الأخرى التى يحتاجها الزواج ، والتى جرت العادة على الوفاء بها ، والتى يكون الشاب عادة غير قادر على تحملها ، وخاصة فى بدء حياته العملية .

وهذه عقبة نعرفها جميعاً ونقدرها ، وإذا ناقشنا الآباء فيها ، قلما نجد منهم من ينكر ضررها وأثرها السىء ، وأنها تقف حجر عثرة فى سبيل زواج الكثيرين .

ولكن إذا إنتهى وقت الكلام وجاء وقت العمل ، لم يصبح لهذه الآراء

أى قيمة ، ويصبح التقليد والمحاكاة ومجاراة الواقع ، والسير على النهج المعتاد هو العامل الأول وهو الفيصل فى الموضوع . وتتجه المناقشة إلى كم سيدفع الشاب ونوع الأثاث الذى سيأتى به .. إلى غير ذلك من المتطلبات .

والنتيجة أن يهرب الشباب من فكرة الزواج سنوات بعد سنوات ، تمر من عمره .. وهو واقع تحت تأثير ضغط جنسى لا يرحم ، ورغبة تقف هذه الموانع دون تحقيقها بالطريق الذى يرضى عنه الشرع ، ويرضى عنه الأهل ويرضى هو نفسه عنه .

وقد تقوده هذه الموانع إلى الانحراف ، وما أسهل الانحراف . طالما أن الطريق إليه معبد لا تقف فى سبيله أموال عديدة عليه أن يجمعها ، ولا تقف أمامه شروط وطلبات لا تنتهى .

هذا هو أحد العوامل الأساسية فى هذه المشكلة .

والعامل الثانى ،هو نظرة الشاب إلى الزواج نفسه وإلى الفتاة التى يريد أن يتزوجها ، وتدخل الأهل فى هذا الموضوع بصورة أو بأخرى . ما بين رفض لاختياره إذا اختار . أو الضغط عليه للزواج من فتاة معينة تستوفى الشروط التى يرونها مناسبة لزوجة ابنهم . وقد تختلف وجهات نظرهم عن وجهة نظر الإبن . ويجد الشاب نفسه فى النهاية فريسة لأنواع من الصراع ما بين الرغبة فى إرضاء الأهل ، والرغبة فى اختيار الزوجة التى يراها أنسب له ولظروفه الخاصة وتتوافر فيها الشروط التى يراها مناسبة .

وليت الأمر يقف عند هذه الحدود .. حدود اختيار الزوجة من بين الفتيات اللاتى يعرفهن أو يعرفهن الأهل ومن الأوساط المعروفة لهم ، بل إن كثيراً من الشباب اللذين تبهرهم صورة الحياة الغربية وما فيها من حريات ،

وما فيها من تساهل بالنسبة لكثير من الألتزامات والمتطلبات ، قد يفكر فى الزواج من أجنبيات . وهو اتجاه خطير . لأن الأساس الذى يقوم عليه هذا الزواج ضعيف . فالأصل فى الزواج التفاهم ، والآمال المشتركة ، والظروف الاجتماعية المتقاربة ، والعادات المتشابهة ، وهو مالا يمكن أن يتحقق فى هذه الزيجات الغريبة . وإن نجح بالنسبة للبعض ، فإن هذا البعض لا يصح أن يكون حكماً نستند إليه .

وهناك ناحية ثالثة ، أو عامل ثالث ، يلعب دوراً خطيراً فى تشكيل أفكار الكثيرين من أبنائنا عند إقبالهم على الزواج .. عامل يتصل بتكوينهم النفسى .

ذلك أن طبيعة الحياة النفسية التى نعيشها ، وما بها من زجر ونهى ، وخاصة فيما يتصل بالنواحى الجنسية ، تجعل لهذه النواحى حرمة خاصة . وتجعل الشباب أكثر حساسية لما يتصل بها من أمور .

ليس هذا فقط ، بل إن عدم معرفة الشاب بطبيعة الحياة الجنسية السوية ، وعدم إلمامه بحقائقها ، وخوفه أن يكون مختلفاً عن الآخرين ، قد يؤدى به إلى شعور بالضعف أو بالنقص . يلازمه ويستحوذ على تفكيره . وقد يؤدى به هذا الشعور بالتالى إلى الهرب من فكرة الزواج كلية ، ومن أى تفكير يراوده بهذا الخصوص .

ولعل ما ذكرته يكفى لأن نعتبر الزواج مشكلة تتطلب حلا ، وتتطلب مساعدة .

والآن من الذى يساعد الشاب على إيجاد الحل المطلوب ؟

تتولى ذلك فى بعض الدول مكاتب خاصة . ولكن حتى يتحقق هذا الحل.

من أقدر الناس على مساعدة الشاب؟الجواب هو : الأب والأم بطبيعة الحال ، والكبار الآخرون فى الأسرة .

ولكن هل هذه هى الحقيقة . هل يلجأ الشاب حقاً إلى الأب والأم يسألهما حلا لمشاكله العاطفية . ويطلب مساعدتهما فى اختيار شريكة حياته ؟

نادراً ما يحدث هذا بطريقة مباشرة ، وإن حدث فعلى استحياء ، وفى الأحوال التى تكون فيها الفتاة من نفس محيط الأسرة . ولعل السبب هو نوع التربية التى ننشىء عليها أبناءنا . وعدم تعود الآباء مناقشة أبنائهم فى كل ما يتصل بالجنس من قريب أو بعيد . وواجبنا أن نزيل هذه العقبة من طريقهم ، بأن نشجع أبناءنا على مناقشة هذه الأمور معنا بدل البحث عن إجابات لها عند الغير . خاصة ونحن أدرى الناس بهم وبعاداتهم وإمكانياتهم الخاصة . ونحن بالتالى أقدر الناس على إعطاء النصيحة المناسبة متى طلبت منا النصيحة .

ولكن إذا أراد الأب ، وأرادت الأم أن يساعدا الشاب الذى يسألهما النصيحة ، وإذا طمعا فى أن يستمع إليهما ، فلا يجب أن تكون النصيحة فى صورة نعم أو لا ، حتى ولو كان الشاب يطلب ذلك ، وحتى لو كانت هذه النصيحة تتفق مع شعورهما ومع الواقع تمام الاتفاق . فمثلا .. قد يسأل الابن :

هل ينبغى له أن يتزوج هذه الفتاة المعينة ؟

وقد تكون هذه الفتاة هى آخر فتاة ينبغى له أن يتزوجها . ولكن من الحكمة أن يحتفظ الأب والأم بإجابتهما القاطعةالتى يعتقدان أنها الصحيحة . إذ أن الإجابة بالرفض قد تشعر الشاب بأنهما ينتقدان تفكيره واختياره ، وأنهما لا يهتمان بإدراك مشكلاته . بل يستطيع الأب والأم أن يحتفظا بثقة الشاب فيهما وأن يساعداه على أن يفكر وأن يصل إلى الجواب بنفسه ، إذا عاوناه على أن يفكر فى الأسباب التى تؤيد أو تعارض زواجه منها . خاصة إذا كانت نصيحتهما

مبنية على أساس من الحقائق . وليس على أساس عواطفها وميولها ورغباتها الشخصية .

ومن الأفضل أن تتذكر على الدوام ، أن الشباب يبنى أفكاره عن الزواج على أساس ملاحظاتهم لما عليه الزواج فى عائلاتهم . فالشاب الذى ينشأ فى أسرة سعيدة ، يسودها التوافق والتعاون ، تكون فرصته فى الزواج الناجح كبيرة . ولذلك يحسن بالآباء والأمهات الذين يشعرون بأن زواجهم غير ناجح ، أن يبحثوا وراء السبب فى فشل زواجهم واضطراب حياتهم الزوجية ، وأن يعالجوا أسباب هذا الفشل وهذا الاضطراب ، حتى يقيموا مثلا يقتدى به أبناؤهم .

ويحسن بالآباء والأمهات عموماً . أن يشركوا أبناءهم متى كبروا ، فى بحث وتفهم مشكلاتهم وفى كل ما يتصل بشئون حياتهم حتى يكونوا أقدر فى المستقبل على مواجهة مثل هذه المشكلات ، وحتى يكونوا أقدر على تحمل مسئولياتهم الخاصة متى جاء الوقت الذى يصبح لزاماً عليهم فيه أن يتحملوا هذه المسئوليات .

والكلام السابق ، وإن انصب أغلبه على الذكور من الشباب ، إلا أنه من الواضح أنه ينطبق على الفتى فى هذا المقام ما ينطبق على الفتاة ، التى يجب أن نقدر عواطفها ونسألها رأيها فى شريك حياتها ، وأن نعالج معها مشاكلها الخاصة فقد ترغب الفتاة فى تأجيل الزواج لإتمام تعليمها أو لغير ذلك من الأسباب . وهنا يجب ألا نفرض عليها رأياً . وأن نعاونها فى دراسة الموضوع بكامله وإختيار الأصلح لها . ولن تتمكن الأم أو يتمكن الأب من القيام بهذا الواجب إلا إذا كانت العلاقة بينهما وبين ابنتهما تسمح بذلك ، وإلا إذا كان نوع التربية التى ربيا ابنتهما عليه ييسر لهما مثل هذا النوع من المناقشات .

الفصل السادس

مشـــكلة اختيار المهنة

تقديم :

يواجه المراهقون مشكلة إختيار المهنة أو العمل الذى سيمارسون حياتهم من خلاله ، ويبدأون فى إعداد أنفسهم لهذا الميدان .

وإذا كانت هذه المشكلة تأخذ فى مراحل العمر السابقة صورة الأحلام الجميلة ، التى ترتبط بالخيال أكثر من ارتباطها بالواقع . عندما يتخيل طفل السادسة أو السابعة نفسه ضابطاً أو طبيباً أو مدرساً أو نحو ذلك .. فإن هذا الخيال ينزل بعد الخامسة عشرة والسادسة عشرة إلى أرض الواقع ، عندما يواجه الشاب مشكلة مستقبل حياته .. ماذا يريد أن يكون ؟ وما هى المهنة التى يرتاح إليها أكثر من غيرها .. وتحقق له كل أمانيه ؟ وكيف يصل إلى تحقيق هذه الأمانى ؟ . وهل تسمح ظروفه العائلية والاقتصادية وإمكانياته الخاصة بإعداده للمهنة التى يقع عليها إختياره ..؟

هذه هى أنواع الأسئلة التى يسألها المراهقون لأنفسهم عادة — فيما يتصل بهذا الموضوع — ويقلقون بشأن الإجابة عليها . لأن الإجابة يتوقف عليها مصيرهم ومستقبل حياتهم .

فإذا أضفنا إلى ذلك ، أنهم لا يعرفون عادة شيئاً عن عالم المهنة والعمل ، لايعرفون مثلا أنواع المهن المتوفرة ، ومميزات كل منها وما تتطلبه من مؤهلات ، والتدريب اللازم لها ، وكيف يشق الشاب طريقه إليها ، ومدى ملاءمتها له وغير ذلك من النواحى التى لابد من التعرف عليها حتى يستطيع أن يشق طريقه إلى العمل بنجاح .

والمراهق الذى أنهى دراسته الإعدادية يخرج فى العادة بفكرة ضئيلة للغاية

فيما يتصل بهذا الميدان . وحتى بعد انتهاء دراسته الثانوية ، يكون كل ما يعرفه عن عالم المهن هى المهن التى ترتبط بكليات جامعية معينة أو معاهد بذاتها يعرفها . فهذه الكلية تخرج المعلمين ، وهذه تخرج المهندسين .. ونحو ذلك . فإذا لم يوفق للالتحاق بإحدى هذه الكليات أو المعاهد .. ضل طريقه فى هذا العالم المجهول .

وقليل من المراهقين من يعرف هذا الطريق ، ويعرف بالضبط ماذا يريد وإنما الذى يحدث فى أغلبية الأحوال هو أن تظل أفكار الشباب حول هذا الموضوع غير محددة وغير واضحة . حتى يجدوا أنفسهم فجأة أمام الموقف الصعب ، عندما يجابهون بضرورة الالتحاق بعمل ، أو بمعهد دراسى يؤدى إلى عمل معين لم يعدوا أنفسهم له الإعداد المناسب . قد يضطرب بعضهم إلى درجة تحتاج إلى المعونة وإلى تدخل الآخرين .. آباء أو مدرسين أو إخصائيين وبعضهم يرضى بما قسم له مضطراً لأنه لا حيلة له فى الأمر ، ويأخذ المسألة على أنها حظ ونصيب ، ويؤدى عمله بأى شكل كان .

ولذلك يجب ألا نستغرب إذا وجدنا الشباب يعطون هذا الموضوع أهمية خاصة ، وأن مخاوفهم الرئيسية تتركز حوله .

ونتيجة لهذه المخاوف تميل أغلبيتهم إلى تأجيل البت فى الموضوع من يوم إلى آخر ، حتى يواجهوا آخر الأمر ، لضرورة اقتصادية أو لأسباب عائلية ، أو بسبب انتهاء الدراسة .. بضرورة الالتحاق بعمل ما .

والنتيجة ان يقبل المراهق على المهنة التى يعتقد أنها أنسب له ، أو التى تتاح له فى هذا الوقت فرصة الالتحاق بها . ثم يتركها بعد مدة ليختار غيرها حتى يستقر فى النهاية فى أى مهنة . أو قد يلتحق بمهنة مؤقتة على أمل أن يغيرها فى المستقبل إلى مهنة أفضل .. وهكذا .

وفى الحقيقة إن إختيار المراهق لمهنة معينة شيء صعب ، لأنه لا يفكر فى هذا الأمر عادة تفكيرا واقعيا موضوعيا ، أو يضع له خطة سابقة بل تبدو ميولهم غير محددة للدرجة التى توجههم نحو طريق واضح . فضلا عن المساعدة الضئيلة التى يتلقونها من الأسرة أو المدرسة أو غيرها من المؤسسات بهـذا الخصوص . ومن ثم يحاول الشاب تأخير هذا الاختيار أطول فترة ممكنة .

وبالرغم من الميل الواضح عند كثير من الاطفال نحو التفكير فى عالم المهن ، ومحاولة تقليد آبائهم أو مدرسيهم وهم يعملون نجدهم أميل إلى الهروب وعدم مواجهة الموقف أو تهيئة أنفسهم له . عندما يصلوا إلى مرحلة التفكير الجدى فى المستقبل .

حقيقة أخرى تتصل بهذا الموضوع ، هى إن تفكير المراهق لا يبقى عادة ثابتا فيما يتصل بمهنة المستقبل . فبينما نراهم اليوم يرجحون مهنة معينة ، ويحاولون البحث عن المبررات التى تجعل صورتها فى اعينهم وفى أعين الآخرين براقة للغاية ، نجدهم قد زهدوها فى الغد وبحثوا عن غيرها . والحقيقة أنه ليس هناك أساس ثابت يبنون عليه إختيارهم . ومن ثم تتغير نظرتهم حسب الظروف قد يسمعون اليوم أن فلانا يكسب كذا وكذا من مهنته ، فيرون فيها مهنة مناسبة ثم يرون فى الغد شخصا آخر يعمل فى مهنة أخرى أكثر احتراما فى نظر الناس فيقبلون عليها .. وهكذا والنتيجة تغير إختيارهم بتغير رغباتهم وأفكارهم كلما مرت بهم الأيام .

وكلنا يعرف من واقع حياتنا وحياة المحيطين بنا ، إنه نادرا ما يشـق الواحد طريقه بنجاح نحو مهنة محددة . بل يمر فى الغالب بعدد من المهن يختارها بينه وبين نفسه ، أو يقبل على دراسة تمهد لها ثم يتركها لغيرها ... وهكذا حتى يستقر فى نهاية الأمر فى مهنة معينة .

ولا يقتصر هذا الكلام على المرحلة قبل إختيار المهنة ، بل حتى بعد أن يستقر الشاب فى مهنة بالفعل ، قد يتركها لمهنة أخرى إذا وجد أنها لا تتفق مع ميوله ورغباته أو تحقق له نوع من الحياة التى يريدها .

بل إن من الشباب من يفضل تجريب عدد من المهن قبل إختيار أحداها . فمعلوماته الضئيلة عن المهن المختلفة ، وخوفه من ارتباطه بمهنة معينة طول العمر . تجعله فى بعض الاحيان أميل لأن يجرب هذه المهنة أو تلك ليكتشف نفسه من خلال هذا التجريب ، وليحدد ميله ورغباته على الطبيعة . قد لا يذكر أنه يفعل ذلك لهذا الغرض أو لغيره . ولكن سلوكه وتصرفاته هى التى تفصح عنه وتدل عليه . عندما نجده يقبل مثلا على مهنة ما من غير حماس ومن غير تدقيق ، ثم يتركها لغير سبب واضح ، ويكرر العملية عدة مرات . لا يمكن أن نفسر سلوكه إلا بهذه الكيفية ، وهو أنه يجرب على الطبيعة ، ويمارس عدداً من المهن على أمل أن يستقر فى نهاية الأمر فى مهنة يرتاح اليها .

قد يكون السبب فى هذا التغيير المستمر هو طبيعة بعض الأعمال والوظائف وخاصة ما كان منها جديداً غير مألوف أو تنوعها وكثرتها ، أو رغبة الشباب نفسه فى التغيير والتجريب .. أو غير ذلك من الاسباب ، ولكنها على أية حال ليست مسئوليته وحده أن يقع فى هذه الحيرة وهذا الاضطراب ، وليست مسئوليته وحده أن يضيع سنوات من عمره فى مهنة ما ثم يتركها لغيرها ... وهكذا ، وفى هذا ما فيه من إسراف فى جهد الشباب وفى عائد إنتاجهم ، الذى هو إسراف أيضاً فى حق المجتمع . وإنما هى مسئولية كل الهيئات المتصلة بإعداد الشباب ، البيت والمدرسة وأجهزة الدولة الخاصة برعاية الشباب .

العوامل المؤثرة فى اختيار المهنة :

هذه هى صورة مشكلة إختيار المهنة كما نلمسها . ويتضح منها أن هناك عوامل عديدة تلعب دوراً فيها ، منها ما يرجع إلى ذات المراهق أو الشاب وطبيعته الخاصة كدوافعه واستعداداته وإمكانياته الخاصة ونوع ميوله . ومنها ما يرجع إلى تأثير البيت ومجموعة الظروف الاجتماعية والاقتصادية التى يعيشها كتأثير الوالدين ورغباتهما الشخصية والمستوى الاقتصادى للأسرة ونوع التعليم الذى تلقاه إلى غير ذلك من العوامل .

ويمكن على وجه العموم تقسيم هذه العوامل إلى مجموعتين أساسيتين هما :

١ — العوامل الذاتية .

٢ — العوامل البيئية .

وسنتناول فيما يلى هاتين المجموعتين من العوامل ، ثم نعالج فيما بعدموضوع توجيه الشباب على ضوئها توجيهاً مهنياً سليما .

أولا : العوامل الذاتية :

بعض العوامل التى تؤثر فى إختيار الفرد لمهنته ترجع إلى ذاته نفسها ، كدوافع الفرد وتطلعاته ، وإمكانياته من حيث توافر الاستعدادات المناسبة والمهارات الخاصة بمهنة معينة وعدم توافر استعدادات ومهارات أخرى تناسب مهناً مغايرة ، وميوله ... ونحو ذلك .

١ — دوافع الفرد :

من أبرز الدوافع الخاصة بالعمل فى مهنة معينة ، الرغبة فى الحصول على أكبر قدر من المنفعة المادية لقاء العمل . حتى أن البعض يخطط لتعليمه ولمستقبله

منذ فجر شبابه على هذا الأساس . ويظل يحلم بما سيفعله بالمال الذى يجنيه ، من تأثيث بيت مناسب أو شراء عربة أو نحو ذلك من متع الحياة .

وفى بعض الأحوال يكون المظهر الاجتماعى هو الدافع فى توجيه المراهقين نحو مهنة معينة عندما يفضلون مثلا مهنة ضابط فى الجيش أو البوليس لمظهرها المتميز ولنوع اللباس الذى يرتديه أصحاب هذه المهن .

وهذه الأنواع من الدوافع واضحة المصدر . ومن ثم يمكن للشاب أن يتبين مدى تأثيرها . ويمكنه فى الوقت المناسب أن يقلل من هذا التأثير نتيجة الظروف أو الواقع الذى يصطدم به . أما الدوافع التى تلعب دورها فى نفس الشاب ولا يمكنه مواجهتها صراحة . فهى الدوافع اللاشعورية ، والتى تتكون فى الغالب نتيجة ظروف مبكرة أو حوادث مر بها وتركت أثرها فى نفسه من غير أن يدرى . وتظل بالرغم من ذلك تؤثر فى سلوكه وتصرفاته ، ومن ضمن النواحى التى تؤثر فيها إختياره لمهنته .

الطفل مثلا الذى يلاقى معاملة قاسية من مدرسه ، ولا يستطيع أن ينتقم من هذا المدرس .. قد تنتقل هذه الرغبة إلى اللاشعور وتظل حية تعمل عملها حتى إذا حانت الفرصة ظهرت من جديد .. تظهر مثلا فى صورة الرغبة فى العمل فى وظيفة مدرس لتنتقم لنفسها من التلاميذ الصغار .. أو نحو ذلك .

أو قد يكون الدافع هو الرغبة فى إثبات الذات . فالشخص الذى يعانى نقصاً من هذه الناحية ، قد يفضل المهن التى يظهر فيها معنى التفوق على الآخرين . كالطب مثلا أو التعليم .. أو المهن الاجتماعية ذات الطبيعة الإنسانية كالاخصائى الاجتماعى مثلا ، لأنه يجد فى مساعدته للآخرين ، وفى حاجة الآخرين له واعتمادهم عليه ما يؤكد ذاته ويرضى هذه الناحية من نفسه .

ويجب أن يكون واضحاً أن الإنسان يخضع فى أى موقف من مواقف حياته (وبالطبع فى مواقف اختيار المهنة) لتأثير مجموعة من الدوافع لا لتأثير دافع واحد محدد . وهى حقيقة يجب أن نضعها فى اعتبارنا ونحن نناقش تأثير دوافع الفرد على اختيار مهنته .

وبصفة عامة يبدو تأثير هذه الدوافع بوضوح كلما اقترب الشباب من الوقت الذى يصبح عليهم فيه أن يختاروا مهنة ما . ويصبح عليهم بالتالى أن يتصرفوا إن شعورياً أو لا شعورياً لكى يرضوا دوافعهم هذه . وواضح أن عدم التوفيق بين مجموعة الدوافع التى توجههم وبين المهنة التى ترضيهم يؤدى بهم إلى أقسى أنواع الصراع النفسى ، لأهمية هذه الناحية فى حياة الإنسان ، ويؤدى بهم بالتالى إلى مشكلات أعقد وأعقد فى السلوك .

٢ ــ الاستعدادات والصفات الشخصية والمهارات الخاصة :

قد تكون مشكلة الشاب المقبل على اختيار مهنته ، هى أنه لا تتوافر فيه الصفات أو الخصائص التى لابد منها لنجاحه فى المهنة التى يقبل عليها . وهذه الخصائص قد تكون بدنية ، كالشاب الذى يريد أن يمارس إحدى المهن الرياضية مع نقص واضح فى استعداده الجسمى ولياقته لهذا النوع من الأعمال. أو الفتاة التى تريد أن تعمل فى التدريس فى الوقت الذى تنقصها فيه القدرة على النطق السليم أو التعبير الصحيح .

أو قد يكون السبب هو نقص الاستعدادات العقلية . وهذا السبب أكثر وضوحاً فى الحياة المدرسية لكثير من التلاميذ ، الشاب مثلا الذى يرغب فى مهنة الهندسة أو الطب أو التدريس ، ولا يعرف أن النجاح فى أى من هذه المهن يتطلب تفوقاً فى الاستعدادات العقلية التى لها علاقة بهذه المهن. مثل القدرة الرياضية والقدرة المكانية اللازمتين للنجاح فى دراسة الهندسة .. إلى غير ذلك.

وهذه حقيقة معروفة كثيراً ما ينساها الشباب ، وينساها الآباء والمعلمون فى غمرة انشغالهم بإعداد أنفسهم أو أبنائهم أو تلاميذهم للمهن التى تلقى رواجاً وإقبالا خاصاً .

وأيضاً للمهارات الخاصة أهميتها . فمن المهن ما يحتاج إلى مهارة من نوع معين . فالعزف على البيانو مثلا يتطلب نوعاً من المرونة فى استخدام الأصابع والتحكم فيها .. وكذلك العمل على الآلات الدقيقة وأشغال الإبرة وأعمال الرسم والنحت .. وغيرها ، فكل هذه المهن تتطلب مهارات من نوع معين تتوافر فى بعض الناس ولا تتوافر فى غيرهم . ومن المهم التأكد من توافرها فى الشخص لضمان نجاحه فى العمل الذى يؤديه .

والسمات أو الصفات الشخصية لها أثرها أيضاً . فمن المهن ما يحتاج إلى سمات شخصية معينة . فالشخص المنطوى على نفسه مثلا ، قد لا ينجح فى مهنة تحتاج إلى التعامل مع الناس والاحتكاك بهم . والشخص الذى تنقصه الجرأة والمبادأة وسرعة إتخاذ القرارات لا ينفع فى الوظائف القيادية أو المهن التى تتطلب هذه الصفات كالطيران ..

كل هذه الخصائص والاستعدادات والمهارات والسمات ضرورية وهامة ولابد أن تكون صورتها واضحة تماماً أمام الفرد ليحدد على ضوئها المهنة المناسبة التى تتفق مع إمكانياته واستعداداته الخاصة وصفاته بصفة عامة . وحتى يتجنب الخطر الذى يكمن فى عدم معرفته بنواحى النقص فى شخصيته . فمن الخطأ أن نفترض أنه طالما توافرت الرغبة فى شىء ، فإنه تتوافر معها القدرة على إتيانه والنجاح فيه .

وهذه هى إحدى المهام الرئيسية للتوجيه المهنى السليم ، والتى يبدأ بها عادة عندما يحدد – وقبل أن يضع أمام الشاب أنواع المهن المناسبة وفرص العمل المتاحة – إمكانيات الشاب نفسه واستعداداته وصفاته ونواحى قوته أو ضعفه حتى يؤدى التوجيه مهمته بنجاح .

وبالنسبة للشباب ذوى المواهب المتعددة ، فإن لهم مشاكلهم الخاصة ومخاوفهم أيضاً . لأن من طبيعة تعدد المواهب صعوبة الأختيار . عندما يجد الشاب نفسه قادراً على أن يمتهن عدداً من المهن وأن ينجح فيها جميعاً على حد سواء . تواجهه مشاكل مثل .. أى المهن يختار ؟ وأيها يجد فيها ذاته ؟ وتحقق له رغباته وطموحه أكثر من غيرها ؟ . هذه هى أنواع المشاكل التى تواجه مثل هذا الشاب ، والتى يجد لزاماً عليه أن يجد لها حلا ، حتى يستقر فى مهنة معينة .

ويزيد من دقة مشاكله ، الحساسية الزائدة التى يواجه بها الموهوب موضوع الاختيار . فهو لا يريد أى مستقبل ، وإنما يريد مستقبلا من نوع معين ، يتفق مع إمكانياته واستعداداته العالية . وهو ينظر إلى المهن المختلفة بغير العين التى ينظر إليها بها الشخص العادى ، ومن هنا تأتى متاعبه . لكنه فى العادة يكون أقدر على التحكم فى الموقف ، وأقدر على التوافق من الشخص الذى تنقصه القدرة والاستعداد .

وعلى أية حال فإنه أيضاً فى حاجة إلى نوع من التوجيه المهنى ، حتى يوفق إلى المهنة التى تحقق له أقصى ما يستطيع أن تمكنه له قدراته ومواهبه الخاصة .

٣ – الميول المهنية :

ميول الفرد أيضاً لها أهميتها فى اختيار المهنة . بل فى بعض الأحوال تكاد

تكون هى العامل الوحيد فى تحديد هذا الاختيار عندما يتجه الشاب نحو عمل ما حسب رغبته وميله الشخصى مهملا كل العوامل الأخرى ذات الصلة بموضوع الاختيار ، ما اتصل منها بذاته هو ، من حيث توافر الإمكانيات الخاصة عنده ، أو ما اتصل بظروفه المادية والاجتماعية وواقعه ، أو ظروف العمل نفسه .

وفى الواقع أن توافر عامل الميل يلعب دوراً أساسياً فى حياة الإنسان أثناء تأديته مهنته ، أو أثناء الدراسة الممهدة لهذه المهنة . ويؤثر فى إنتاجه وفى راحته النفسية وسعادته بصفة عامة .

ونحن نعرف هذه الحقيقة ، عندما نقبل على دراسة موضوع نميل إليه ، فلا نشعر بالوقت الذى نمضيه ونحن نستذكره . بل وأحياناً نعتبر هذا الوقت نوعاً من الترفيه وقضاء وقت ممتع . وبالعكس إذا كنا ندرس موضوعاً لا نميل إليه ، ونحس بوطأة دراسته وبالساعات ، وحتى بالدقائق ، التى تمر علينا ونحن نجبر أنفسنا على استذكاره . ولولا وجود دافع قوى يرغمنا على دراسته– كالرغبة فى النجاح مثلا – لما قربنا منه أصلا .

هذه الحقيقة تنطبق تماماً على العمل فى مهنة ما . فمن المهن ما نقبل عليه لميل شخصى ، ومنها مالا نميل إليه على وجه الإطلاق . فإذا كانت المهنة التى نعمل فيها من النوع الأول ، فإننا سنقبل عليها من ذات أنفسنا وسنسعد بالعمل فيها ، وسيزيد بالتالى إنتاجنا وفرصة نجاحنا فيها . وكلها عوامل تؤثر تأثيراً طيباً فى عملنا وحياتنا .

ليس هذا فقط ، بل لقد أثبتت دراسات عديدة وجود علاقة بين الميل والقدرة ، وأن الميل المهنى هو انعكاس للقدرة أو للاستعداد الطبيعى عندالفرد

بالنسبة لمهنة معينة . بمعنى أن توافر الميل لمهنة ما عند شخص يمكن أن يتخذ دليلا على وجود الاستعداد الخاص بهذه المهنة عنده . ولذلك أهميته أيضاً . فقد سبق أن اتضح لنا أهمية الاستعدادات الخاصة بالمهنة بالنسبة لنجاح الفرد فيها . وارتباط القدرة أو الاستعداد بالميل بهذه الصورة يزيد من فاعلية كل منهما ومن تأثيرهما على نجاح الفرد فى مهنته .

وكثيراً ما تتجه ميول الشباب إلى مهن غير ممكنة ، نظراً لحداثة سنهم وخبراتهم . ويرون البعد شاسعاً بين ما يريدونه وبين الفرص المتاحة أمامهم . وتنتابهم المخاوف ويصبحون أكثر قلقاً كلما حان الوقت الذى يصبح عليهم فيه أن يختاروا عملا محدداً ، أو نوعاً من الدراسة يؤدى إلى عمل معين . لا يحقق أحلامهم بالصورة التى يريدونها ولا يتصورون أنفسهم يعملون فى غيرها .

ويزيد من حدة هذه المشكلة أحلام اليقظة التى تنتاب أغلب المراهقين وخاصة فى بداية مراهقتهم ، عندما يقضون أغلب أوقاتهم فى حالة من أحلام اليقظة ذات الطبيعة السارة ، والتى يدور أغلبها حول مهنة المستقبل . فيتخيلون أنفسهم وقد أصبحوا من كبار الكتاب أو المفكرين أو الشاغلين لمناصب هامة فى عالم السياسة أو الإدارة أو غير ذلك . هذه الأحلام الطموحة والحياة الانفعالية الخيالية التى يعيشونها من خلالها ، تجعل من الصعب على الكثيرين إدراك الفرق بين ما يحلمون به وبين إمكانياتهم الخاصة وما يستطيعون الحصول عليه .

قد يعجب المراهق مثلا بأحد المطربين ، ويبدأ يحلم بأن يكون مثله ، ويمضى الساعات تلو الساعات كل يوم وهو يعيش هذه الصورة الجميلة ، متخيلا نفسه وقد أصبح مطرباً مشهوراً يتلقى إعجاب الناس به . فإذا بدأ يفكر

فى النزول بهذه الصورة من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة . أو بمعنى آخر إذا بدأ يفكر فى كيفية الوصول إلى ما يحلم به ، يفكر فى ظروفه الخاصة ونوع الإعداد المناسب ، وكيف يشق طريقه إلى غايته .. فقد السيطرة على الموقف ، وبدأ يعانى مرارة الخوف على فقد حلمه الجميل . ويزداد خوفه كلما وجد نفسه عاجزاً أمام الحقائق الصعبة التى تحول بينهما .

ويصعب فى الواقع منع المراهق من أحلام اليقظة . فهى إحدى المعالم الرئيسية لحياة المراهقين والشباب ، تسود نشاطهم العقلى بدرجة أو بأخرى كما أنها ليست جميعها ضارة ومعوقة .

بل كثيراً ما تكون هى الحافز لأن يعمل الشاب وأن يتقدم . وقد تعرضنا لهذه الحقيقة عند الكلام عن النمو العقلى فى مرحلة المراهقة . فطالب الحقوق مثلا الذى يحلم بأن يصبح محامياً عظيما ، يدافع عن الحق وينظر إليه القضاة وجمهور المحاكم بالإعجاب ، وتحثه أحلامه هذه على أن يجتهد فى دراسته لكى ينجح ويتفوق ، لا تضره أحلامه . وإنما قد تكون أحد الأسباب الرئيسية لتقدمه وتفوقه .

وإنما يأتى الخطر لو اكتفى هذا الطالب بأحلامه وعاش فى عالمها وحده ، من غير أن يهيىء نفسه لتحقيقها فى عالم الواقع بالاستذكار والعمل .

ثانياً — العوامل البيئية :

يقصد بالعوامل البيئية مجموعة العوامل التى ترجع إلى الظروف الخارجية المحيطة بالفرد وواقعه الذى يعيش فيه ، كتأثير الوالدين والظروف الاقتصادية وتأثير التعليم وغير ذلك من العوامل ، التى تلعب بدورها دوراً أساسياً فى اختيار الشاب لمهنته .

ولما كانت الظروف التى تتعرض لها الفتاة فى بلادنا تختلف من نواحى عديدة عن الظروف التى يتعرض لها الفتى ، فلابد من أن نتعرض أيضاً للعوامل الخاصة بإختيار الفتاة لمهنتها .

٤ ــ تأثير الأبوين :

العامل الأساسى فى تشكيل حياة المراهقين بصفة عامة وفى توجيه إختياراتهم هو التأثير الخاص بالأبوين . ويظهر هذا التأثير بشكل واضح فى توجيه أبنائهم نحو مهنة المستقبل ، أو فى توجيههم نحو نوع التعليم الذى يؤدى إلى مهنة معينة .

قد يكون تدخلهما ذا فائدة ، عندما يوجها ابنهما (أو ابنتهما) الوجهة الصحيحة التى تتفق مع استعداداته وإمكانياته وترضى ميوله . وقد يكون ضاراً إذا وقفا ضد رغبة الابن أو الإبنة فى اختيار المهنة التى يميل إليها ، أو إذا امتنعا عن مساعدته على إكمال الدراسة أو التدريب الذى يعد لمهنة يرغب فيها ... أو نحو ذلك .

ويفيد فى توضيح الاتجاه الأخير أن نذكر بعض الأمثلة لأنواع من التصرفات قد يتخذها الأبوان ، والتى قد تكون السبب فى متاعب الأبناء فيما يتصل بإختيارهم للمهنة :

الأب الذى فشل فى اختيار مهنة مناسبة ، أو الأم التى لم تكمل تعليمها ، والتى كانت ترغب فى أن تتعلم وأن تعمل ، قد يرغبا فى أن يحققا فى ابنهما أو ابنتهما ما فشلا فى تحقيقه فى حياتهما الخاصة ، ومن ثم يجبرانهما على العمل فى المهنة المحددة ، ويوجهان بالتالى مستقبلهما حسب هواهما ودوافعهما الخاصة .

وأيضاً الأبوان الناجحان فى حياتهما وعملهما ، ويرغبان فى أن يسلك ابنهما

أو ابنتها نفس الطريق . الأب التاجر مثلا الذى يرى أن دخله من مهنته لا يمكن أن يتحصل عليه ابنه من أى مهنة أخرى . ويرى المكان الطبيعى لابنه . هو أن يقف بجواره يساعده ويرث مهنته وتجارته من بعده . قد لا يستطيع أن يتصور ابنه فى غير هذا المكان ، ويجد من غير المعقول أن يترك ابنه هذا العمل وهذا المستقبل المضمون ليغامر فى مهنة أخرى مجهولة قليلة الدخل .

والأم أيضاً التى حققت فى حياتها الزوجية كل مطمح لها فى الحياة . فدخل زوجها يكفى حاجات البيت . وقد رتبت حياتها فى حدود وظيفتها كأم لأولادها ومدبرة لشئون بيتها ، واستراحت لهذا النوع من الحياة . قد لا ترى لابنتها بالمثل حياة أخرى خارج حدود مثل هذا البيت ، ولا تتصور أن تفكر ابنتها فى العمل كما يعمل الرجال ، وتعانى متاعبهم التى لم تخلق لها . وترى أنه من الخير لابنتها أن تفكر نفس تفكيرها وتقتصر الطريق إلى بيت الزوجية الآمن المريح .

وليس هكذا يفكر الإبن والإبنة ، بل لها فى الغالب متطلباتها الخاصة التى لا يفهمها أو يقدرها الأبوان . ومن هنا تأتى المشاكل وينشأ الصراع ، فالابن (أو الإبنة) من جهة يقدر رغبات الأبوين وآمالها . ويعرف أسباب هذه الرغبات والآمال . ومن جهة أخرى لا يرغب فى التضحية بآماله ورغباته الخاصة . والنتيجة لا يمكن تحديدها فى مثل هذا الموقف فهى تختلف حسب قوة رغبات الابن وقدرته على إملاء رغباته ، أو على مقدار سيطرة الأب والأم وتدخلها فى شئون أبنائهما . قد يتيسر للابن فى آخر الأمر أن يصل إلى غرضه . أو قد ينتهى الموقف بانتصار الأبوين . ولكن مهما كانت النتيجة ، فإنها ستأتى بعد كثير من المتاعب والآلام . فلن يسر الابن — بطبيعة الحال —

أن يقتل ميوله الخاصة ورغباته ، كما لا يرضيه أيضاً أن يطرح بعيداً رغبات الأبوين ويهمل آمالهما الخاصة به .

وهناك أيضاً موقف الأب الناجح فى عمله ، والذى وصل إلى مستوى طيب ومرموق . ويجد ابنه غير قادر على الوصول إلى المستوى الذى يطمح إليه لنقص فى إمكانياته الطبيعية ، أو لعدم وجود الحافز الكافى ، أو لغير ذلك من الأسباب . فى هذه الحالة لا يتصورى الأب أن يكون ابنه أقل مستوى منه أو من نظرائه من شباب العائلة وزملاء الدراسة .

الأب الطبيب مثلا أو المهندس ، لا يتصور ابنه فى غير عمل مماثل ، أو من نفس المستوى . لا يتصور إمكانية أن يعمل ابنه كعامل بسيط أو أن يشغل مهنة بسيطة . ولا يسمح له فى أغلب الأحوال بأن يشق طريقه فى هذا الاتجاه . ويظل يضغط عليه ويرغمه لتحويله عنه ، بتغيير المدرسة التى يتعلم فيها ، وبإعادة السنة التى يرسب فيها ... وهكذا . حتى إذا فشل الابن فى النهاية وقف الأب حائراً لا يعرف كيف يتصرف . وتكون النتيجة هى كراهيته له وإسقاطه من اعتباره .

هذا هو موقف الأب . أما بالنسبة للابن فيختلف الحال . إذ أن الموقف يمسه فى الصميم . ويرتفع الصراع داخل نفسه إلى أقصى درجة ، عندما يجد نفسه من جهة مدفوعاً لأن يسلك طريقاً معينا يرغب الأب والأهل أن يسير فيه ، ويجد نفسه من جهة أخرى عاجزاً عن تكملة السير فى هذا الطريق بالذات ، وأنه تسبب بعجزه هذا فى إصابة الأبوين والأهل بالمهانة وخيبة الآمال ، بعد أن قضوا أعواماً طويلة يحلمون بمستقبله ويوفرون له كل الإمكانيات اللازمة لضمان هذا المستقبل . وهو أمر لا يستطيع الشاب عادة

أن يتحمله ، أو يكيف نفسه وفقاً له ، لأنه يمس فى هذه الحالة القيم المركزية فى شخصيته .

فوجود موانع أو ظروف خارجية تحول بينه وبين تحقيق آماله أشياء يستطيع أن يواجهها بصورة أو بأخرى ، وإن تسببت له فى الشعور بالضيق والفشل . فلن يكون هذا الشعور بنفس الدرجة التى تسببها له موانع تأتى منه هو نفسه وتتصل بصميم كيانه .

٥ — الظروف الاقتصادية :

كثيراً ما يترك المراهق دراسته فى وقت مبكر — بسبب ظروف أسرته المالية — ليلتحق بعمل يعيش منه أو يساعد أسرته عن طريقه . وغالبية الذين يضطرون إلى العمل بهذا الشكل لا يكونون قد بلغوا بعد درجة كافية من الاستعداد المهنى أو النضج الكافى أو الخبرة التى تتيح لهم فرصة اختيار العمل المناسب . فضلا عن أن ظروفهم الاقتصادية تجعل همهم الأول هو الحصول على عمل يدر عليهم ما يسد حاجتهم ، أما نوع العمل فيظل خارجاً عن الموضوع طالما ظلت هذه الحاجة قائمة ، وطالما ظلت سن الشاب وخبرته والظروف التى يعمل فيها بمنآة عن التطلع إلى وضع أفضل .

ولكن هذا الوضع ليس هو الصورة الدائمة ، فقد يتطلع المراهق بعد أن تستقر أحواله إلى تحسين وضعه . أو قد يرى أنه أساء الاختيار ووجه حياته وجهة خاطئة ، وأن ظروفه قد جنت عليه . والنتيجة فى كلتا الحالتين ، هى أن يبحث عن مهنة أخرى ترضى تطلعاته الجديدة وترفع بعض الغبن الذى وقع عليه :

والحصول على هذه المهنة — فى مثل ظروفه صعب — لأنه لم يتلق قسطاً

من التعليم يجعل فرصة حصوله على مهنة مناسبة سهلا ، ولم يتلق أيضاً أى نوع من التدريب يساعده فى الحصول على هذه المهنة . ولذلك لا يجد أمامه عادة إلا مهناً من نفس المستوى الذى يعمل فيه ، فينتقل من إحداها إلى الأخرى حتى يستقر فى نهاية الأمر فى أية مهنة .

أو قد يجد أن الطريق الأنسب هو أن يبدأ تعلمه من جديد . وهناك أمثلة لمثل هذا الطموح . فنسبة كبيرة من الطلبة الذين يؤدون امتحان الشهادة الثانوية كل عام من هذا النوع ، والذين رأوا أن فرصة حصولهم على مهنة ترضى رغباتهم وتستقر فيها حياتهم لن تأتى إلا بالتقدم فى التعليم والوصول إلى أعلى مستوياته ، بل منهم من يتقدم لهذا الامتحان مرة بعد أخرى ليحقق هذه الغاية . أو قد يكتفى مراهق بالالتحاق بمعاهد التدريب والورش الفنية ، أو التدريب على عمل جديد آخر النهار .

ونسبة كبيرة من المراهقين تحسن وضعها عن هذا الطريق أيضاً . وخير مثال لهم أولئك الذين يقبلون على تعلم الآلة الكاتبة وعلى معاهد تعلم اللغات الأجنبية وأعمال السكرتارية وغيرها ، تمهيداً للعمل بالمهن التى تعتمد على هذه الأنواع من الخبرات والمهارات .

٦ — تأثير المجتمع :

للمجتمع من غير شك تأثيره فى نظرة الشاب إلى المهنة ، التى هى فى الواقع انعكاس لنظرة الناس إليها . فالمجتمع إذ يحترم الطبيب ويقدر المحامى ، ويرى أن مهنة الهندسة مهنة ممتازة يضع معايير أمام الشاب يقيس عليها المهنة التى يختارها . هذه المعايير تتضح بأجلى صورة لها فى الدرجات التى تحددها مكاتب التنسيق للقبول بالكليات الجامعية ، والتى يتبين منها أن الطلبــة لا

يقبلون على هذه الكليات لميل طبيعى أو لأن استعداداتهم الشخصية تتفق مع تخصصاتها أو لغير ذلك من النواحى الموضوعية ، وإنما لأن هذه الكليات تلقى قبولا من المجتمع ، ولأن وضع من يتخرج منها أعلى ، فى نظر الناس ، من وضع الذين يعملون من غير أن يحصلوا على درجة جامعية .

قد يكون السبب فى ارتفاع قيمة مهنة على أخرى فى نظر الناس ، هو الدخل الذى تدره على صاحبها ، أو السلطة التى يمارسها من خلالها ، أو التفوق الغير عادى التى تتطلبه فى شاغلها .. أو غير ذلك من الأسباب . لكن أحد هذه الأسباب منفرداً لا يكون له فى العادة التأثير الكافى فى اختيار المهنة . وإنما يعود التأثير إلى مجموعة منها ، كما تتضح فى النظرة الاجتماعية المتكاملة لها . فمهنة الميكانيكى مثلا تدر دخلا يفوق بمراحل دخل الموظف الإدارى فى أى دائرة حكومية . ولكن مهمة الموظف قد تلقى قبولا أفضل من المجتمع لمجموعة أخرى متشابكة من الأسباب ، مثل مظهره الاجتماعى ودرجة التعليم النسبية التى تلقاها ونوع السلطة التى يمارسها .. أو غير ذلك .

تأثير المجتمع هذا يلعب أحد الأدوار الأساسية فى حياة الشاب ، وفى توجيه اختيارهم لمهنة المستقبل . فالمهن التى تلقى قبولا عندهم ، وتمتلك خيالهم ، هى المهن التى تلقى قبولا من المجتمع . وهو السبب فى أغلب المخاوف التى تنتابهم والقلق الذى يعترى حياتهم كلما قرب الوقت الذى يتحدد فيه مستقبل كل منهم .

وتتمثل هذه الحقيقة على أشدها فى طلبة الثانوية العامة . إذ أن معرفتهم بأن نتيجة الامتحان هى التى ستقرر مستقبل كل منهم . وأنه على أساس هذه النتيجة سيتحدد ما إذا كان الطالب سيقبل فى التعليم الجامعى أصلا أم لا ،

وبالتالى المهنة التى تنتظره . معرفتهم بهذه الحقيقة ، وارتباطها بنظرة الشاب إلى التعليم الجامعى وخاصة فى مجتمعنا الذى يعطى أهمية كبيرة لهذا النوع من التعليم ، ويعده المصدر الأساسى للحصول على المهن الرفيعة . ومعرفتهم بأن الفشل فى هذا الامتحان بالذات وعدم حصولهم على الدرجات المطلوبة معناه هبوطهم إلى مستوى لا يتصورونه وحياة لا يطيقونها .. تجعلهم يبذلون فى سبيل إجتيازه مالا يبذلونه فى سبيل اجتياز إمتحان آخر .

وكلنا يعانى الصورة القلقة المضطربة التى يعيشها ابناؤنا كلما اقترب وقت هذا الامتحان ويعرف ظروفها ويقدر ظروف الطالب فيها . والآباء والأمهات يقاسون بدورهم . وبدرجة أكبر مرارة هذه الفترة عندما يرون ابنهم (أو ابنتهم) وقد أصبح كتلة من الآمال المتطلعة والمخاوف والقلق . والعمل ليل نهار ، والمذاكرة التى لا تنتهى والإجهاد المستمر ، عساه يحقق آماله وينجح فى الحصول على التقدير الذى يهيء له الالتحاق بالكلية أو المعهد الذى يفضله.

وكلنا يعرف أن هذه الظروف فوق قدرة الإنسان العادى ، ويعرف الآثار المترتبة عليها بدنية كانت أو نفسية ، والتى تبدو فى صورة أمراض الضعف الجسمى وحالات الإغماء . وفى صورة الانهيارات العصبية التى تكثر بين الشباب فى هذه الأوقات ، فضلا عن الآثار النفسية الأعمق ، والتى لا تظهر لنا وإنما تكمن فى ذات أنفسهم ، والتى يرجع أغلبها إلى فقدهم الثقة فى أنفسهم وإحساسهم بعدم القدرة على متابعة السير والوصول إلى الهدف الذى يتطلعون إليه ، وما يترتب على هذه الآثار جميعها من نتائج غاية فى السوء .

ليس هذا فقط بل إن الكثيرين منهم يفضلون إعادة الامتحان مرات ومرات . ويشجعهم الأهل على ذلك ، عساهم يحققون فى إحدى السنوات

مالم يستطيعوا تحقيقه فى السنوات السابقة .. وفى هذا ما فيه من إضاعة لوقتهم وجهودهم التى قد لا تؤدى فى النهاية إلى أى نتيجة . وحتى إذا وفق فى النهاية إلى الالتحاق بالكلية التى يرغب فيها ، فإن العامل الأساسى فى التحاقه يكون فى الغالب هو الجهد الغير عادى الذى بذله ، والذى لا يمثل مستواه الحقيقى . وهذا العامل الأخير قد يترتب عليه فشله فى الدراسة التى التحق بها . والمهم بالطبع ليس أن يلتحق بكلية أو معهد ما ، وإنما أن ينجح وأن يستمر حتى يتخرج فيه .

٧ — **تأثير التعليم :**

لا يستطيع الشاب الحصول على بعض المهن إلا بعد المرور بمراحل تعليمية معينة . والشاب الأكثر تعليماً بصفة عامة ، تتاح له فرص أكثر للوصول إلى الوظائف العالية والمهن ذات الدخل المرتفع . فالشاب الذى لم يحصل على أكثر من الشهادة الإعدادية ، ولم يكمل تعليمه الثانوى والجامعى ، يتحدد مستقبله فى العادة فى عدد من المهن ذات الدخل المنخفض . وهذه حقيقة يعرفها الشباب ويعطونها أهمية خاصة . ولذلك نجدهم يعتبرون التعليم الأداة التى توصلهم إلى مستقبل مضمون وإلى مهنة مناسبة .

فإذا سألت تلميذاً بالمدرسة الإعدادية أو الثانوية هل ينوى إكمال تعليمه ، فنادراً ما يرد عليك بالنفى . ومنع أى واحد منهم من إكمال تعليمه أو تهديده بذلك فى حالة فشله فى الدراسة مثلا ، يعتبر تحدياً بالغ الخطورة بالنسبة لأمن حياته وبالنسبة للخطة التى أعدها لمستقبله .

ليس هذا فقط بل إن الشاب الذى يجد الطريق أمامه مغلقاً بالنسبة لأنواع التعليم التى يفضلها ، يتعرض لنفس المتاعب . فالشاب الذى يريد إكمال تعليمه

العام فالجامعي ، ويضطر تحت ضغط الظروف – اقتصادية أو غيرها – إلى إختصار الطريق بالالتحاق بنوع من التعليم المهني الزراعي أو الصناعي مثلا ، والفتاة التي تختصر طريقها بمعهد متوسط يعدها لمهنة سريعة كمعاهد إعداد المعلمات .. يعتبران التحاقهما بهذه الأنواع من المعاهد خيبة أمل كبيرة ، ويحاولان تعويضها بأي شكل كان . منهم من يعيد الدراسة الثانوية العامة ، ومنهم من يحاول تحسين وضعه في إطار العمل الذي يعمل فيه ... وهكذا .

الوضع الخاص بالفتاة :

من الواضح أن كلامنا السابق ينطبق على الفتاة كما ينطبق على الفتى . إلا أن هناك بعض الإعتبارات الخاصة بوضع الفتاة ، نجد من الضروري التعرض لأهميتها من ناحية ، وحتى تكون مجموعة المشاكل الخاصة بإختيار المهنة أكثر تحديداً ووضوحاً ما اتصل منها بالفتى أو الفتاة ، من ناحية أخرى .

والمشكلة الأساسية في حياة أية فتاة هي أن تتمكن من التوفيق بين ناحيتين
الأولى : حياتها الزوجية ، أو بمعنى أدق حياة البيت والزوج والأولاد .
الثانية : حياة العمل .

فحول هاتين الناحيتين تدور أغلب المخاوف التي تنتاب الفتاة خاصة بمستقبلها . وتختلطان عادة لديها ، أو بمعنى أوضح تفكر فيهما معاً . والفتاة تختلف في ذلك عن الفتى الذي يستطيع أن يفصل المشكلتين إحداهما عن الأخرى . فإختياره لمهنة المستقبل نادراً ما يتأثر بتفكيره في الزوجة التي يختارها أو على الأقل ، العلاقة التي تربطهما ليست في مستوى الأهمية والخطورة كالعلاقة التي تربطهما عند الفتاة .

فمشكلة إختيار المهنة تقع عنده في المقام الأول . ففي مجتمعنا يفترض عادة

أن الرجل هو المسئول عن الناحية الاقتصادية وعن إقامة البيت وعن كل المتطلبات الخاصة به . أما دور المرأة فى هذه العملية فلا زال غير محدد. وهناك عائلات كثيرة تعتبر دخل المرأة خاصاً بها ، وتعتبر إنفاق دخلها أو جزء من دخلها على البيت أمراً إختيارياً يترك لها هى نفسها موضوع تقريره ، أو يترك لتقدير الزوجين فى أحسن الأحوال . ولهذا بالطبع تأثيره على وجهة نظر الفتاة بالنسبة لموضوع العمل واختيار المهنة . إذ عليها أن تحدد أولا ما إذا كانت ستعمل أم لا . ثم بعد ذلك فى أى مهنة ستعمل . أما الفتى فيحدد فقط نوع المهنة التى يختارها .

وحتى إذا اختارت الفتاة طريق العمل ، فإن المشكلة لا تنتهى ، بل سيظل السؤال إلى متى تعمل ؟ قائماً . هل تظل محتفظة بعملها حتى تتزوج ؟ أمستستمر فيه بعد ذلك ؟ . وإذا إستمرت فيه ، هل سيكون ذلك حتى يتحسن دخل الزوج ؟ أم ستستمر فيه بعد ذلك أيضاً ؟ .. أو حتى تنجب أولاداً ؟ .. الخ .

فإذا أضفنا إلى هذه المجموعة من الأسئلة التى تمثل مشاكل حقيقية تواجه الفتاة قبل وبعد عملها ، أن الفتاة قد تلقى مقاومة من الأسرة فيما يختص بتعليمها الذى يؤهلها للعمل ، أو فيما يختص بالسماح لها بالعمل بعد ذلك ، لتبين لنا إلى أى مدى هو معقد الوضع الخاص بعمل الفتاة فى مجتمعنا .

فأغلب الآباء ينظرون إلى تعليم الفتاة وإلى عملها نظرة تختلف عن نظرتهم للفتى . فى الوقت الذى يعتبرون فيه عمل الابن أساس حياته ، وأن أى عائق يحول بينه وبين الاستقرار فى مهنة مناسبة مصيبة لا تحتمل ، لا يبالون كثيراً بعمل البنات . بل ومنهم من لا يبالى أيضاً بتعليمها ، أو قد يمنعها من التعليم ، والأزواج أيضاً ، منهم من يرى هذا الرأى ويرى فى عمل الزوجة واشتراكها معه فى الصرف على البيت والأولاد إنتقاصاً من كرامته كرب الأسرة المسئول.

وهذه النظرة وإن تغيرت إلى حد ما فى الفترة الأخيرة ، إلا أن أساسها لازال موجوداً ، ولازال يؤدى دوره فى تعقيد حياة الفتاة(والزوجة)العملية.

وبالنسبة للفتيات . فإن الكثيرات منهن لا يتصورن أبداً أن ينزعن من دراستهن ، ومن تفكيرهن أن يكون لكل منهن مهنة خاصة بها ، تعيش حياتها من خلالها ، ليتزوجن وينجبن الأولاد . ثم يكون كل همهن فى الحياة رعاية الزوج وتدبير شئون البيت وتربية الأولاد . فلهن أيضاً تطلعاتهن التى لايقدرها الآباء والرجال عادة التقدير المناسب .

وغالبيتهن — وخاصة بعد أن تقدم تعليم البنات ، وبعد أن التحقت الكثيرات منهن بأعلى المعاهد والكليات — يرين أن الحياة المثلى للفتاة هى أن تجمع بين حياة زوجية موفقة وبين العمل .

وليس شرطاً أن يكون القصد من العمل هو الانفاق على البيت ، ولكن أن تشعر بأنها عضوة فى المجتمع تتحمل بعض مسئولياته وتقوم ببعض الواجبات تجاهه ، وتؤدى دورها بالنسبة له كما يؤدى الرجل دوره . وأيضاً أن تشعر بأنها تشارك الرجل فى هذا الميدان الذى اقتصر عليه أجيالا طويلة ، والذى يشعرها بحريتها واستقلالها وكرامتها . فهى لا تشعر بهذه المعانى إلا من خلال العمل .

ونعود للمشكلة الأصلية.. كيف تستطيع الفتاةالتوفيقبين الزواج والعمل... الزواج بمتطلباته العديدة ، والعمل بمسئولياته التى قد تتعارض مع وظيفة الزوجة كأم ومدبرة لشئون البيت . إن حل المشكلة لا يقع بكامله على عاتق الزوجة . وإنما يجب أن يشاركها فيه الزوج ، بتفهمه لحقيقة وضعهاوظروفها وما تعانيه ، وبتفهمه لأمانيها الخاصة ونوع تفكيرها ومساعدتها فى هذاالتفكير وأيضاً المجتمع بصفة عامة الذى يجب أن يعد الزوجة الإعداد المناسب لنـــوع

الحياة الذى ترتضيه لنفسها ، سواء اختارت أن تقتصر على وظيفتها الأصلية كربة بيت ، أو أن تدخل ميدان العمل .

وفى رأيى أن كون المرأة ربة بيت مسئولة لا يقل أهمية عن كونها طبيبة أو محامية أو مدرسة ، طالما أنها تؤدى هذه الوظيفة على خير وجه ، وتربى لنا أولادنا تربية سليمة . وأن يكون هذا متروكاً لتفضيلها الشخصى ولظروفها . وفى رأيى أيضاً أن نهتم بتعليم الفتاة كل ما يتصل بهذه الوظيفة . فالملاحظ أن مناهج الدراسة الخاصة بالفتاة هى نفسها مناهج البنين فيما عدا بعض إضافات بسيطة تتمثل فى دروس التدبير المنزلى والحياكة والتطريز .. فى الوقت الذى تحتاج فيه الفتاة إلى معلومات أخرى خاصة بتربية الأطفال مثل دراسة مراحل نموهم والمشاكل التى تعترضهم ، وكيفية إدارة البيت والرعاية الإجتماعية للأسرة .. إلى غير ذلك مما يتصل بحياة البيوت . وبالنسبة للزوجة العاملة يجب أن يعمل المجتمع على توفير الضمانات لها ، من إقامة بيوت لرعاية الأطفال أثناء عمل الزوجات ، وتنظيم أوقات عملهن وراحتهن بحيث لا تتعارض مع تدبيرهن لشئون بيوتهن . وبإعادة النظر فى نظم تعليم البنات ومناهج الدراسة بحيث تشتمل على كل ما يحقق حياة موفقة لهن .

ونخلص مما تقدم بعدد من العوامل الأساسية التى تؤثر فى اختيار الشاب لمهنة مستقبله ، يمكن على ضوئها أن نحدد الخطة العلمية لتوجيه الشاب توجيهاً مهنياً سليما . هذه العوامل هى :

١ — أن الشاب يخضع فى مواقف اختيار المهنة لتأثير مجموعة من العوامل ، كدوافعه الشخصية ، وإمكانياته من حيث توافر الاستعدادات المناسبة لمهنة معينة وعدم توافر استعدادات أخرى قد تناسب مهناً مغايرة ، وميوله ونحو ذلك . وأن تأثير هذه العوامل يبدو بوضوح كلما اقترب الشاب من الوقت الذى يصبح عليه فيه أن يختار مهنة ما .

وأن عدم التوفيق بين مجموعة العوامل والدوافع التى توجه إختيار الشاب وبين المهنة التى ترضيه ، يؤدى به إلى أنواع مختلفة من الصراع النفسى ، ويؤدى به بالتالى إلى مشكلات أعقد فى السلوك .

٢ — وعلى ضوء النقطة السابقة يصبح من المهم أن يتعرف الشاب على خصائصه واستعداداته وإمكانياته الخاصة . ليحدد على ضوء هذه المعرفة ويختار المهنة المناسبة التى تتفق مع هذه الإمكانيات والاستعدادات والخصائص ، حتى يتجنب الخطر الذى يكمن فى عدم معرفته بنواحى النقص فى شخصيته . وهذه هى إحدى المهام الرئيسية للتوجيه السليم . الذى يجب أن يبدأ بها قبل أى خطوة يخطوها فى سبيل اختيار المهنة المناسبة .

٣ — إن فكرة الإنسان عن نفسه تتركز فى المقام الأول فى نوع العمل الذى يقوم به . وهذه الفكرة نفسها لا ترتبط بذاته وحدها ، وإنما هى فى الأساس انعكاس لنظرة الآخرين التى تختلف من مهنة إلى أخرى وتفرق بين المهن المختلفة . فنظرة الناس إلى الطبيب أو المهندس غير نظرتهم إلى العامل . هذا الاتجاه العام لإعطاء بعض المهن أفضلية على مهن أخرى يؤثر على تفكير الشباب فيما يختص بإختيار مهنة المستقبل ، ويجعل إهتمامهم ينحصر فى المهن التى تلقى قبولا من المجتمع ، والتى يرتفع شاغلوها فى نظر الناس عن غيرهم من العاملين فى مهن أخرى .

٤ — يلعب العامل الاقتصادى أيضاً دوراً أساسياً فى إختيار مهنة المستقبل . وقد أخذ هذا العامل يبرز فى الفترة الأخيرة . فبعد أن كان الاتجاه

السائد بين أوساط الشباب هو إختيار المهنة التى تحقق لهم أكبر قسط من الراحة مع أكبر قدر من الاحترام ، تلك المهن التى تتمثل فى العمل فى المكاتب أو الإدارة ، أصبح الاتجاه السائد هو العمل فى الميادين التى تدر دخلا أكبر حتى ولو كانت بعيدة عن المكاتب أو السلطة الإدارية وهو سر اتجاه أغلبية الشباب للالتحاق بالأعمال الفنية والعملية فى الفترة الأخيرة .

٥ — يمثل التعليم أيضاً ركناً أساسياً فى عملية الاختيار . فبعض المهن لايستطيع الفرد الحصول عليها إلا بعد المرور بمراحل تعليمية معينة . والشخص الأكثر تعليماً تتاح له فى العادة فرص أكثر للوصول إلى الوظائف العالية والمهن ذات الدخل المرتفع ، هذه الحقيقة يعطيها الشباب أهمية خاصة وتؤثر فى إتجاههم نحو اختيار المهنة بصفة عامة .

بل وتطبع حياتهم أثناء الدراسة بطابع المنافسة الشديدة للحصول على أعلى الدرجات التى تهيىء لهم سبل الالتحاق بكليات معينة ومعاهد علمية تؤدى إلى مهن خاصة .

هذه هى مجموعة العوامل التى تؤثر فى اختيار الشاب للمهنة ، والتى يمكن على ضوئها أن نحدد معالم وخطوات التوجيه المهنى السليم .

التوجيه المهنى

أصبح للتوجيه المهنى أهمية كبيرة فى الفترة الأخيرة ، وخاصة بعد أن زاد عدد المهن وزادت مجالات التخصص فى ميادين العمل المختلفة ، وأصبح من الصعب أن يتمكن الشاب بمفرده فى أحوال كثيرة من التغلب على الصعوبات

التى تواجهه فى اختياره لمهنته . بالإضافة الى ما لهذه العملية من أهمية بالنسبة لمستقبل حياة الشاب بل وحياة الأمة . التى تعتمد من غير شك على استقرار أفرادها فى مهن يرتاحون إليها . ويحققون فيها أكبر قدر من الإنتاج .

ولقد سبقتنا دول كثيرة إلى هذا الميدان . وأصبح للتوجيه المهنى وسائله الخاصة ومؤسساته بل وأصبح موضع اهتمام الهيئات الدولية كمكتب العمل الدولى ، واليونسكو .. وغيرها .

ولعله من المفيد أن نشير إلى الطريقة التى تتبعها مكاتب التوجيه المهنى عادة لتحقيق هذه الأغراض .

وصورة العمل فى هذه المكاتب ليست كصورة العمل فى العيادات الطبية أو نحوها كما يخطر على البال ، يقبل عليها الفرد حاملا معه مشكلة ليضعهاأمام الأخصائى الذى يفحصها ثم يرد عليه بالحل أو بالجواب . وإنما هى عملية ذات جوانب متعددة ، وتمر بعدد من المراحل أو الخطوات التى لابد منها ، وهى مراحل أو خطوات يفيد من معرفتها الشباب والآباء والمعلمون والمشرفون على شئون الشباب بصفة عامة . ويمكن أن يسترشدوا بها فى تحديد المهنةالمناسبة لأنفسهم أو لأبنائهم أو لمن يسألهم الرأى والمشورة .

وتسير هذه العملية أساساً على هدى خطوات ثلاث :

الأولى : وتهدف إلى معاونة الشاب على معرفة كل ما يتصل بذاته قبل أن يقرر العمل الذى يناسبه ، من حيث إمكانياته الخاصة وقدراته ونواحى قوته وضعفه . فمن المفيد أن يعرف الشاب مدى تفوقه أو تخلفه فى القدرات الخاصة بالمهن المختلفة كالقدرة العددية التى

تعتمد عليها دراسة العلوم الرياضية ، الأساسية بالنسبة لمهنةالهندسة ونحو ذلك .

فكثير من الشباب يقبلون على هذه المهنة وعلى الدراسات المؤهلة لها ، لما تحققه من فائق الدخل أو لمظهرها الاجتماعى أو لغير ذلك من الأسباب ، ويهيئون أنفسهم لنوع الدراسة أو الالتحاق بالكلية التى توصلهم إليها ، متجاهلين حقيقة أنفسهم واستعدادهم الشخصى ، وتخلفهم فى المواد الرياضية التى لابد من التمكن منها لكى يكملوا الشوط ويتخرجوا فى هذه المهنة .

ومن المهم أيضاً معاونة الشاب فى التعرف على ميولهالحقيقة وألوان النشاط التى يحبها أو يكرهها ، ومدى توافق هذه الميول مع المهنة التى يختارها . فهناك الحقيقة الواضحة التى لا تحتاج إلى مزيد من القول ، وهى أن الإنسان يبذل فى العمل الذى يحبه مالا يبذله فى غيره من الأعمال .

والسمات والصفات الشخصية لها أثرها أيضاً . فمن المهن ما يحتاج إلى سمات شخصية معينة . فالمنطوى على نفسه مثلا لا ينجح فى الغالب فى مهنة تحتاج إلى التعامل مع الناس والاتصال بهم .. وأيضاً الصفات الجسمية والبدنية من حيث قوة الاحتمال ونواحى العجز والقصور التى تعوق أداء العمل بنجاح .

كل هذه النواحى ضرورية وهامة ، ولابد أن تكون صورتها واضحة تماماً أمام الشاب ليحدد على ضوئها المهنة المناسبة .

الثانية : وتهدف إلى معلونة الشاب على معرفة المهن المختلفة المتاحة ومزايا

كل مهنة . فدنيا العمل واسعة ، والمهن العديدة التى يمكن أن يختار من بينها واحدة لنفسه يصعب عليه أن يحددها وحده .

ليس هذا فقط ، بل من المهم أيضاً أن يعرف الشاب أيضاً خصائص المهن التى يتم عليها إختياره ، من حيث المؤهلات المطلوبة لها ، ومتوسط الدخل الذى يحصل عليه منها ، والخبرة اللازمة ، وإمكانية الترقى فيها ، والأعداد المطلوبة لها . فمن المهن ما تبهر صورتها الشباب ويميلون للعمل بها ، كمهن التمثيل والعمل بالإذاعة والتلفزيون أو العمل بالسلك الدبلوماسى أو الصحافة . ولكن الأعداد المطلوبة لهذه المهن تكون قليلة فى العادة ومؤهلاتها لا تقتصر على مجرد الحصول على درجات علمية معينة وإنما تحتاج أيضاً مواهب أخرى فنية وشخصية لا يستطيع الشاب أن يكتشفها فى نفسه بسهولة .

الثالثة : وفيها نعاون الشاب على التوفيق بين إمكانياته الخاصة ، وبين المهن التى يمكن أن ينجح فيها ، بحيث يلتزم الحدود المعقولة ، ولا يشتط به الخيال ويطلب المستحيل ، وحتى يبدو أمامه الطريق واضحاً مستقيماً .

ونعرض فيما يلى هذه الخطوات الثلاث التى تمثل عملية التوجيه المهنى .

الخطوة الأولى تعرف الشاب على ما يتصل بذاته :

يختلف الناس فيما بينهم فى كل ما يتصل بنواحى شخصياتهم ، يختلفون فى قدراتهم وسماتهم الشخصية وميولهم واهتماماتهم وتكوينهم الجسمى .

هذه القدرات والسمات والميول والخصائص هى التى تحدد نوع المهنة المناسبة التى تتيح للشاب فرصة العمل فيها بنجاح .

ومن ثم تصبح الخطوة الأولى فى التوجيه المهنى هى تحليل ذات الفرد والكشف عن كل ما نستطيع الكشف عنه من هذه الجوانب ، التى تشمل :

١ ــ قدراته العقلية .

٢ ــ ميوله .

٣ ــ سماته الشخصية .

٤ ــ خصائصه الجسمية .

القدرات العقلية :

تتطلب كل مهنة مستوى معين من الذكاء ومن القدرات العقلية الخاصة وإذا استطاع الشاب معرفة نواحى القوة والضعف عنده بالنسبة لهذة القدرات أمكنه أن يتخير المهنة التى تتفق مع مستواه .

والقدرات العقلية منها القدرة العامة ، وهى ما نطلق عليها عادة اسم الذكاء ، ومنها أنواع من القدرات الخاصة التى تتميز بها بعض أنواع النشاط العقلى .

وهذه القدرات سواء القدرة العامة أو القدرات الخاصة ، تقاس بمقاييس خاصة تعرف باسم الاختبارات ، يمكن استخدامها للتعرف على درجة توافر هذه القدرة أو الأخرى عند الشاب .

والقدرة العقلية العامة (الذكاء) تمثل المستوى العام لنواحى القوة أو الضعف عند الإنسان . وهى بهذا تتضمن عدداً من أوجه النشاط العقلى المختلفة.

وهناك عدد من القدرات العقلية الخاصة التى يهمنا معرفتها مثل :

* **القدر اللفظية :** التى تشير إلى إمكانية الشخص على فهم الأفكار التى تعبر عنها الكلمات . ويحتاج الشخص إلى هذه القدرة ليستطيع تحصيل المعلومات عن طريق القراءة أو الاستماع ، كما أن المتفوقين فيها يجيدون التعبير عن أنفسهم بالكتابة والخطابة . ويحتاج إلى قدر عال من هذه القدرة المعلمون والكتاب وغيرهم ممن يعتمد عملهم عليها .

* **القدرة على الطلاقة اللفظية :** وهى القدرة على الاستخدام السريع للكلمات ، وسهولة التخاطب والكتابة . وهى شىء آخر غير القدرة اللفظية التى تعتمد على فهم الكلمات والعلاقات التى بين الكلمات . أما الطلاقة اللفظية فتتضمن السرعة والسهولة التى نستخدم بها الكلمات التى نعرفها .

ويعتمد على هذه القدرة عمل الممثلين والمشتغلين بالدعاية والإعلان ورجال الإعلام بصفة عامة .

* **القدرة العددية :** وهى القدرة على استخدام الأرقام والقيام بالعمليات العددية كعمليات الجمع والطرح والضرب والقسمة بسرعة وبدقة . ويحتاج إليها المحاسبون ورجال الإحصاء والتجار والعاملون بالبنوك وغيرهم ممن يعتمد عملهم على استخدام الأرقام .

* **القدرة على التذكر :** وهى القدرة على تذكر الكلمات والرسوم والأرقام ، ويعتمد عليها العمل فى كثير من المهن كالممثلين مثلا . والعاملين فى المجال الفنى بوجه عام .

* **القدرة على الاستدلال :** وهى القدرة على إدراك العلاقات بين العناصر وحل المشكلات . وهى أساسية للمخترعين والمعلمين ورجال

السياسة . وفى الحقيقة فإن كل الأعمال والوظائف العليا تحتاج إلى قدر معقول من هذه القدرة .

* **القدرة المكانية** : وهى القدرة على تصور الأشياء بعد أن يتغير وضعها المكانى ، أو على تصور وضع شيء بالنسبة لآخر فى الفراغ .

ويعتمد على هذه القدرة عمل المهندسين والمشتغلين بالأعمال الميكانيكية وأعمال العمارة والفنانين ..

* **القدرة على السرعة الإدراكية** : وتبدو فى أوجه النشاط العقلى التى تتطلب التعرف السريع الدقيق لأشياء معينة ، وخاصة فى مجال الإدراك البصرى . ويعتمد على هذه القدرة عمل الطيارين وسائقى السيارات وغيرهم ممن يقوم عملهم على الإدراك السريع لعناصر الموقف .

الميول المهنية :

التعرف على الميول له أهميته أيضاً . فعامل الميل ، كما سبق أن ذكرنا ، يلعب دوراً أساسياً فى حياة الإنسان أثناء تأديته مهنته ويؤثر فى إنتاجه وفى راحته النفسية . ففرق كبير بين إنسان يعمل وهو يحس بوطئة العمل ، ويحسب الوقت الذى ينفقه فيه ، وينتظر اللحظة التى يترك فيها العمل بلهفة وترقب ، وبين إنسان يجد متعة فى عمله ولا يشعر بالوقت الذى يقضيه فيه .

ومن ثم يتبين نجاح الفرد فى مهنة ما يعتمد أيضاً على تعرفه على ميوله وإختيار المهنة التى ترضى هذه الميول .

والوسيلة العلمية للتعرف على الميول هى استخدام الاختبارات الخاصة بها . ولكى نأخذ فكرة عن هذا النوع من الاختبارات ، نتمثل بإحداها ،

وهو اختبار كيودر ، الذى يتضمن عشرة ميول رئيسية يرتبط كل منهـا بنوع معين من المهن . هذه الميول هى :

* **الميل الخلوى :** ويميل أصحابه إلى الحياة الخلوية والعمل خارج جدران المكاتب والمساكن بصفة عامة . ويتفق هذا الميل مع العمل فى الحدائـق والمزارع والغابات والعمل البحرى .... وغير ذلك من المهن الخلوية .

* **الميل الميكانيكى :** ويحب أصحابه الأعمال التى تعالج الآلات ، والتى تعتمد على الفك والتركيب واستخدام الأدوات الميكانيكية مثل أعمال المهندسين والميكانيكيين وتصلح السيارات ...

* **الميل العددى :** ويتضح هذا الميل فيمن يحبون الأعمال التى تعتمد على استخدام الأرقام كالصيارفة والمشتغلون بالتعداد والإحصاء والحاسبون .

* **الميل العلمى :** ويتضح فيمن يرغبون فى البحث ومحاولة حل المشكلات واستنباط الحقائق الجديدة والوصول إلى النتائج ، كالكيميائيين والمهندسين والأطباء والصيادلة والعاملين فى ميادين البحث العلمى بأنواعه المختلفة .

* **الميل الإقناعى :** وهو الميل إلى نواحى النشاط التى تقوم على الاتصال بالناس ومقابلتهم كالدعاية والبيع والتمثيل والوعظ والإرشاد ونحو ذلك ..

* **الميل الفنى :** ويحب أصحابه الأعمال اليدوية التى تؤدى إلى إنتـاج مبتكر ، مثل تصميم الأزياء ، وتصفيف الشعر والهندسة الزخرفية والنحت والرسم ....

* **الميل الأدبى :** ويتضح فيمن يحبون القراءة والكتابة ويستمتعون بالوقت الذى ينفقوه فيها . ويتفق هذا الميل مع العمل فى الصحافة وكتابة الروايات والتحرير والتأليف والنقد الأدبى والتدريس .

الميل الموسيقى : ويحب أصحابه العزف على الآلات والغناء وسماعها وتعلمها . وينجح أصحاب هذا الميل فى مهن مثل العزف الموسيقى أو تدريس الموسيقى أو النقد الفنى أو الغناء .

الميل للخدمة الاجتماعية : ويتضح فيمن يهتمون بمساعدة الناس . ويتفق هذا الميل مع العمل فى الطب والتمريض والتدريس والتوجيه المهنى والإشراف على شئون العمال أو الطلاب ..

الميل الكتابى : ويتضح فيمن يفضلون العمل داخل الجدران مثل المحاسبين والموظفين الكتابيين والسكرتيرين ...

هذا ويجب أن نلاحظ أن القائمة السابقة لا تعنى بالضرورة ارتباط كل مهنة بميل خاص لا تتعداه . فمن المهن ما يتطلب أكثر من ميل . فالطب مثلا يحتاج إلى كل من الميول العلمية وميول الخدمة الاجتماعية ، والمحاسبة تحتاج إلى الميول العددية والكتابية .

وعلى أية حال ، فإن تعرف الشاب على ميوله الحقيقية عن طريق مثل هذا النوع من الاختبارات ، ومدى توافق هذه الميول مع المهن المختلفة ، يساعد على زيادة إمكانية نجاحه فى نوع المهن التى يتبين أنه يميل إليها .

سمات الشخصية :

كثيراً ما يكون السبب فى فشل الموظف أو العامل أو المهندس ليس النقص فى قدرته على أداء العمل أو ميله له ، بل إلى موقف الشخص واتجاهه نحو العمل نفسه أو نحو العاملين فيه أو إلى سوء تكيفه الشخصى فى المجال الذى يعمل فيه .

وكما اهتم علماء النفس بالاختبارات التى تقيس قدرات الإنسان والتى تقيس ميوله ، فإن هناك عدداً من الاختبارات التى تقيس سمات الشخصية المختلفة ، تلك السمات التى يفيد تحديدها فى توجيه الشخص نحو المهن والأعمال التى تتطلبها مثل :

* **الثبات الانفعالى :** ويقصد به الاتزان فى الانفعالات والاحتفاظ بهدوء الأعصاب وسلامة التفكير وتحمل المسئولية ، وتقبل النقد وعدم القلق بشأن الأمور اليومية العادية .

وهى صفات لازمة للعمل فى الوظائف الرئيسية والقيادية .

* **المثابرة :** ويقصد بها الميل لتكوين اتجاهات وعادات ثابتة وعدم التذبذب والاستمرار فى العمل. وأصحاب هذه الصفه يكونون فى الغالب متكيفين مع البيئة الخارجية . وميولهم واتجاهاتهم ثابتة إلى حد كبير . وينجح أصحابها فى الأعمال والمشروعات طويلة المدى وهكذا .

* **السيطرة (ضد الخنوع) :** ويقصد بها الميل لتحمل المسئولية ، والتملك والميل للمبادأة . وأصحاب هذه الصفة يميلون للكلام فى المناسبات العامة والاشتراك فى الاجتماعات واقتراح الآراء الجديدة ... ويتولون فى العادة قيادة الجماعات .

* **الانطواء (ضد الانبساط) :** ويميل أصحابها للبعد عن الناس والانزواء والتفكير الهادىء والتأمل . وأصحاب هذه الصفة ينجحون فى الأعمال الفردية التى لا تحتاج إلى مشاركة الآخرين ، والأعمال التى تعتمد على وضع الخطط أكثر من تنفيذها .

وهناك اختبارات تقيس سمات أخرى كثيرة .

الخصائص الجسمية :

يعتمد التوجيه المهنى السليم كذلك على معرفة خصائص الفرد ومميزاته الجسمية والصحية العامة . فمن المهن ما يحتاج إلى قوة التحمل والقدرة على بذل جهد كبير . ومنها ما لا يحتاج إلى هذة الخصائص . ومنها ما يعتمد على الصوت وطريقة الكلام وقوة السمع ونحو ذلك ، ولا ينجح فيها الشخص المتلعثم مثلا أو ضعيف السمع مثل التدريس فلا يمكن أن نتصور مدرساً يتعرف تلاميذه على كلامه بصعوبة ، أو لا يستطيع هو أن يسمعهم إلا إذا رفعوا أصواتهم . والمظهر العام أيضاً وهيئة الفرد تلعب دوراً كبيراً فى بعض المهن ، وكثيراً ما تكون عاملا أساسياً فى نجاح الفرد فى مهنته ، كالعمل فى التلفزيون مثلا أو السينما أو أعمال الدعاية ونحوها . مما يوضح أهمية التعرف على خصائص الفرد الجسمية أيضاً حتى تتوافر لعملية التوجيه كل أركانها الأساسية .

على ضوء ما سبق يمكن أن يتحصل الشاب على صورة واضحة لذاته تشمل كافة نواحيه ما اتصل منها بقدراته أو ميوله أو سماته الشخصية أو خصائصه الجسمية .

والحصول على هذه الصورة هى الخطوة الأولى فى عملية التوجيه المهنى ويستطيع الشاب أن يتحصل عليها بوسائل عديدة مثل التقارير المدرسية وآراء المدرسين ونتائج الاختبارات ... الخ . وعليه بعد أن يعتمد على تحليله الشخصى وحكمه على صفاته أو خصائصه أن يستشير من يشاء ممن يطمئن إلى حكمهم إلى أن تتوافر مكاتب التوجيه المهنى المتخصصة فى هذة العملية .

الخطوة الثانية ـ تعرف الشاب على عالم المهنة :

بعد تعرف الشاب على كل ما يتصل بذاته ، تأتى المرحلة الثانية فى عملية التوجيه المهنى ، والتى تهدف إلى معاونة الشاب على معرفة المهن المختلفة المتاحة.

وعالم المهن عالم واسع يشمل عشرات الآلاف منها . والشاب لا يستطيع بطبيعة الحال أن يستعرض هذا العالم كله ويحتويه . ولذلك يجب عليه أن يضع نظاماً يسير عليه حتى لا يضيع وسط الزحام . وحتى يسير بخطى ثابتة نحو المهنة التى تناسبه . ولعل أفضل طريقة هى أن يبدأ الشاب باستعراض عـــام للمهن المختلفة ويصنفها فى مجموعات أو مجالات واسعة يقارن بينها ويفاضل حتى يستقر على مجموعة منها يجدها أنسب لقدراته الخاصة وميوله وخصائصه الذاتية . ثم بعد ذلك الدراسة التفصيلية للمجموعة المعينة التى اختارها والتى يجدها أفضل من غيرها وأكثر ملاءمة له .

ولكى تحقق هذه الدراسة نتيجتها المرجوة لابد من أن تتوافر لدى الشباب معلومات وافيه عن نواحى مثل :

* **طبيعة العمل** : من حيث أنواع النشاط والخبرات والمهارات والقدرات التى يتطلبها العمل والتى لابد من توافرها فيمن يشغله .

* **المؤهلات الدراسية المطلوبة** : ما هو مستوى الدراسة المطلوب ؟ وهل المهنة تكتفى بتعليم محدود ، إعدادى مثلا أو ثانوى ، ثم التدريب بعد ذلك . أم تتطلب نوعاً من الخبرات لا تتهيأ للشاب إلا بعد الدراسة الجامعية ، أم هى تتطلب خبرات من نوع آخر . لا تتوافر إلا فى معاهد فنية معينة .

* **قيود العمل** : ما هو المطلوب من الشاب تقديمه ؟ وما هى الشروط العامة التى يقبل على أساسها ؟ وهل العمل خاص بجنس معين أم يقبل فيه

الشباب من الجنسين ؟ وهل للمظهر أهمية فيه .. وهل يتطلب خصائص أو صفات معينة لابد من توافرها فيمن يتقدم إليه ! ... وهكذا .

. **الالتحاق بالعمل :** هل سيجرى للشاب اختبار خاص قبل الالتحاق بالعمل ؟ وهل سيمر طالب الوظيفة بفترة للتجربة ؟ .. أم يكتفى بتقديم المؤهلات والمستندات المطلوبة ! .. وإذا كان هناك اختبار .. فما نوعه .. هل سيتم فى مقابلة شخصية . أو عن طريق امتحان تحريرى ؟ . ومن الذى سيجرى الاختبار .. ومتى .. الخ .

وإذا كانت هناك فترة للتجربة فما مدتها ! وهل سيأخذ أجراً خلالها وما حدودها . ؟

وفى جميع الأحوال ما هى الأوراق والمستندات المطلوبة للتقديم .. الخ .

* **شروط العمل :** أين سيكون . فى المدينة أو خارجها .وهل يوفر العمل سكناً لشاغله ؟ وما هى الخدمات التى يقدمها طبية أو غيرها . وما عدد ساعات العمل فى اليوم ؟ وما نوع الإجازات ومدتها ؟ وما هى الضمانات التى يوفرها لشاغله ضد الفصل أو البطالة ؟ ... وبصفة عامة درجة الاطمئنان التى يحققها .

* **الدخل :** ما هو متوسط الدخل الذى يحققه ؟ وما هى فرص الزيادة فى هذا الدخل ؟ وهل تحسب ساعات العمل الإضافية ؟ ... وهل الدخل بصفة عامة يساوى الجهد الذى يبذله الفرد فيه ؟ ...

هذه هى أهم النواحى التى يمكن للشاب أن يضعها فى اعتباره ، وهو يفاضل بين أنواع المهن ليختار من بينها المهنة الأكثر ملاءمة له .

ويمكن للشاب أن يتحصل على المعلومات الخاصة بهذه النواحي من مصادر عديدة ، مثل إعلانات الصحف ، والإحصاءات التي تصدرها المؤسسات والهيئات الخاصة بالتعداد والإحصاء ، ومن نشرات اتحادات المهن المختلفة نفسها والاتصال بالمختصين فيها .

التعرف على المعلومات من المصادر التي أشرنا إليها أو بعضها يمثل الخطوة الثانية التي يخطوها الشاب نحو مهنة المستقبل .

وفي حالة وجود مكاتب متخصصة للتوجيه المهني ، فإنها تتولى عملية جمع المعلومات ، وتقدمها جاهزة للفرد وتساعده على دراستها .. تمهيداً للخطوة الثالثة في عملية التوجيه المهني ، التي فيها تقارن خصائص وإمكانيات الشاب وصفاته الخاصة بمميزات وخصائص المهن التي يمكن أن ينجح فيها لتحديد أنسبها له .

الخطوة الثالثة : التوفيق بين خصائص الشاب وبين المهنة المناسبة :

على ضوء الخطوتين السابقتين يكون الشاب قد تحصل على قائمتين واضحتين :

تشمل الأولى : مجموعة صفاته خصائصه ما اتصل منها بتكوينه العقلي والجسمي وميوله واتجاهاته وصفاته الشخصية .

وتشمل الثانية : خصائص ومميزات مجموعة من المهن .

ولا يتبقى على الشاب إلا أن يقارن هاتين القائمتين أو هاتين المجموعتين من الخصائص ويقابلها حتى يتحصل على المهنة التي يجدها أكثر تطابقاً وموافقة مع صفاته وخصائصه . وهو في عملية المطابقة أو التوفيق هذه ،

يجب أن يضع فى اعتباره دائماً أن الوصول إلى الشيء المثالى صعب بل ومستحيل فى أغلب الأحوال ، وأن يلتزم الحدود المعقوله حسب طبيعة الأوضاع . كما يجب أن يضع فى اعتباره كل احتياجات العمل التى قد لا يستطيع أداء بعضها . أو بمعنى آخر أن ينظر إلى عيوبه كما ينظر إلى نواحى تفوقه .

وقد تكون هناك أسباب تفرض على الشاب أن يحد من مجال اختياره كنقص التعليم مثلا وعدم حصوله على الدرجات العلمية المناسبة ، أو قلة التدريب ... أو نحو ذلك . فى مثل هذه الأحوال يجب ألا يخدع الشاب نفسه ويظل يحلم بمهنة معينة ويدور فى الفراغ . وهو يعلم أن الحصول على هذه المهنة يتطلب مؤهلات وشروط لا تتوافر فيه ، بل يجب أن يحصر اهتمامه وأن تكون مقارناته فى الحدود التى أشرنا إليها ، والتى لا تخرج عن نطاق البحث عن أفضل مهنة متاحة تتفق خصائصها مع خصائص الشاب . أما إذا وجد الشاب أنه لا يستطيع أن يبعد تفكيره عن مهنة بذاتها ، بالرغم من عدم توافر شروطها فيه ، فلا بد والحالة هذه أن يبحث عن وسيلة يكمل بها أوجه النقص عنده ، فيكمل تعليمه العالى مثلا إذا كانت المهنة تتطلب هذا النوع من التعليم أو نحو ذلك .

وفى جميع الأحوال يجب ألا يتسرع الشاب فى اتخاذ قراره ، وأن يستعين على قدر الإمكان بخبرات الكبار المحيطين به ، وباستشارة المختصين فى المجالات التى تحتاج إلى استشارة ومعونة من نوع خاص (هذا فى حالة عدم وجود مكاتب التوجيه المهنى المتخصصة التى تتولى عادة هذه العمليات) حتى يصل

إلى أحسن نتيجة ممكنة ، وحتى يمكنه أن يتغلب على أهم مشكلة تعترض حياته ... وهى مشكلة اختيار مهنة المستقبل . تلك المشكلة التى تحظى منه فى العادة بأكبر قسط من الاهتمام ، وتسبب له من المخاوف وأسباب القلق ما لا تسببه مشكلة أو عامل آخر فى حياته .

الفصل السابع

وقت الفراغ

تقديم :

ناقشنا فى الفصلين السابقين مشكلتين أساسيتين فى حياة الشباب ، تدور حولهما مخاوفهم ، وآمالهم فى نفس الوقت ، الأولى هى مشكلة الجنس التى تنتهى عادة بالزواج . والثانية هى اختيار المهنة .. محور الاهتمام الرئيسى فى حياة الشباب والكبار بصفة عامة . إذ أننا ننظر إلى الإنسان فى العادة ونقدره من خلال المهنة التى يعمل فيها .

ونناقش فى الفصل الحالى مشكلة ثالثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمشكلتين السابقتين ، بل وأحياناً يكون علاجها ، والتصرف فيها تصرفاً سليما هو العلاج الطبيعى لكل منهما .

فقد رأينا أثناء مناقشة أمور الجنس كيف أن أغلب المشاكل الخاصة بها إنما تأتى نتيجة وقت الفراغ الطويل الذى لا يعرف الشباب أين يقضيه ، وأن علاجها إنما يكمن فى تنظيم هذا الوقت ، وتوجيه الشباب نحو حسن استغلاله وإعلاء طاقاتهم الحيوية والانفعالية من خلاله .

ثم إن حل مشكلة وقت الفراغ كثيراً ما يساعد على تكيف الشباب الذى يضيق بدراسته أو بعمله ، فيحاول عن طريق هواية يمارسها فى أوقات فراغه مثلا ، أن يتخلص من أسباب هذا الضيق ، وأن يحقق من خلالها النجاح والسعادةاللذين افتقدهما فى حياته الدراسية أو العملية .

ليس هذا فحسب ، بل ومن المعالجين النفسيين من يعتقد أنه يمكن الاستفادة من أوقات الفراغ فى علاج كثير من الحالات النفسية والعقلية ، عن طريق شغل المصابين بها بهوايات مثل الرسم أو الموسيقى أو ما أشبه . وأثبت هذا النوع من العلاج فائدة كبيرة . ليس بعد الإصابة بالمرض فقط ،

وإنما أيضاً كعامل يساعد على الوقاية منه . كما أثبت أنه يساعد على الاحتفاظ بالكيان النفسى بعيداً عن هذه الاضطرابات . وبصفة عامة فى تنمية الإحساس بالراحة والهدوء .

وفى الحقيقة إن لكل واحد منا دوافعه ورغباته . وهى دوافع ورغبات لا تجد طريقها للانطلاق والإشباع فى كل الأوقات . بل كثيراً ما تحول . ظروف الحياة وقيودها دون التعبير عنها والسماح لها بإشباع نفسها وتحقيق متطلباتها . ومن هنا يأتى الصراع بين الحاجة إلى التعبير عن هذه الرغبات والتنفيس عنها . وبين قيود الحياة وظروفها وموانعها . ومن هنا أيضاً تبدو أهمية أوقات الفراغ وشغل هذه الأوقات بهوايات محببة إلى النفس أو بنشاط ترويحى سار . كمنطلق للتنفس عن الرغبات المكبوتة . والسماح لها بالظهور بشكل يخفف بعض العبء عن النفس المشحونة بالانفعالات والصراعات نتيجة هذه الرغبات .

وهذا هو السر فى النصيحة التى نسمعها دائماً من المعالجين النفسيين وغيرهم ممن يتصلون بالناس . وممن يفضى إليهم الناس بمشاكلهم ومتاعبهم بأن يروحوا عن أنفسهم . وأن يغيروا من مجالات اهتمامهم . وأن يتجهوا بصفة عامة إلى نوع من النشاط يرتاحون إليه ويقضون من خلاله وعن طريقه بعض الوقت السار . أو أن يغيروا من أسلوبهم فى الحياة ويبحثوا عن مجالات أخرى لا يشعرون فيها بالكلل والتعب والإجهاد الفكرى .

وهذا هو السر أيضاً فى أننا نشعر بعد هذه الأوقات التى ننطلق فيها على سجيتنا ، والتى نسمح فيها لأنفسنا بأن نفعل ما نحبه ، لا ما هو مفروض علينا ، والتى نشبع فيها هواياتنا ... نشعر بأننا قد اكتسبنا طاقات جديدة

للعمل ، وأننا نعود بعدها إلى حياتنا العادية بنفوس أكثر هدوءاً وأكثر طمأنينة وأكثر إقبالا على العمل وعلى الحياة .

ما هو وقت الفراغ :

والآن ما هو المقصود بوقت الفراغ . هل يقصد به أى وقت لا نعمل فيه ، أم يقصد به وقت راحتنا بين فترات العمل .

إن تحديد معنى هذا الوقت ضرورى . لأن التخطيط لشغله ولاختيار أنواع النشاط المناسبة التى يمكن أن يمارسها الفرد من خلاله تعتمد على ، تحديده ومعرفة المقصود منه .

ونحن نميل إلى إعتبار وقت الفراغ هو الوقت الذى يقضيه الفرد فى نشاط مقيد يتمكن أثناءه من تحقيق بعض ما يرغب فيه ويميل إليه .

وعلى ذلك فوقت الراحة بين ساعات العمل ، للذهاب إلى المقهى وتناول بعض المأكولات أو المشروبات الخفيفة مثلا ، أو لتبادل بعض الأحاديث السريعة مع الزملاء .. ليس وقت فراغ بالمعنى الذى نقصده . لأن هـذا الوقت جزء من وقت العمل نفسه الذى لا يمكن أن يستمر على وتيرة واحدة وإنما يحتاج إلى فترات للتوقف ولاستجماع نشاط الفرد وتكملة سير العمل . ولأن الفرد لا يحقق خلاله نشاطاً مفيداً من النوع الذى يميل إليه ويرغب فيه وإنما يقضيه بأى شكل كان ... حتى يبدأ العمل من جديد .

أما لو خطط لهذا الوقت ، بحيث يسمح بممارسة الفرد لأنواع مختلفـة من النشاط يختار من بينها ما يريد ، وكان الوقت كافياً لتحقيق هذا الغرض مثل ما هو موجود فى بعض المؤسسات من نوادى أو استراحات تشمل قاعات للعب البلياردو أو كرة الطاولة أو مشاهدة التلفزيون .. أو نحوها ،

يمارس العاملون عن طريقه بعض ما يميلون إليه من أوجه النشاط التي تتضمنها أثناء فترة الظهيرة مثلا أو غيرها من الأوقات .. قبل أن يستأنفوا عملهم من جديد ...

أو مثل ما يحدث في المدارس من وجود قاعات للعب كرة الطاولة والألعاب الخفيفة من هذا النوع . أو من وجود مكتبة يمكن أن يطالع فيها التلميذ في فترات الاستراحة بعض ما يميل إليه من الكتب أو نحو ذلك ....

فإن مثل هذه الأوقات التي ينظم لها ، والتي يمارس فيها العامل أو التلميذ بعض هواياته ويشغلها ببعض أنواع النشاط التي يميل إليها ويرغب فيها ... يمكن اعتبارها أوقات فراغ من النوع الذي نقصده .

وأوقات الفراغ تختلف بهذا الشكل باختلاف ظروف الفرد ونوع النشاط التي يشغلها به . فبالنسبة للتلميذ مثلا ، هو الوقت الزائد بعد عمل اليوم المدرسي ، وبعد أن يستذكر دروسه ، والذي يقضيه التلميذ على النحو الذي يرغب فيه ويحبه ، بالاشتراك مع أخوته في بعض ألعابهم مثلا . أو قراءة بعض الروايات ، أو في الذهاب إلى النادي لممارسة لعبة من الألعاب الرياضية التي يميل إليها ، أو لممارسة إحدى نواحي النشاط الأخرى المتوافرة فيه ثقافية أو اجتماعية ... أو نحو ذلك .

وبالنسبة للموظفين والعاملين والكبار عموماً ، هو الوقت الذي يفيض عن وقت العمل ، والذي يمضيه الكبار بالمثل في القراءة أو ممارسة هواية من الهوايات كالصيد أو الرسم أو الذهاب إلى النادي بالمثل ... أو نحو ذلك من أوجه النشاط .

وأوقات الفراغ في الأيام العادية غيرها في أيام الإجازات الطويلة .

لاختلاف طبيعة كل منها . واختلافها أيضاً فى الغرض والقصد ، وفى طبيعة النشاط الذى يمكن أن يمارس خلالها . ففى الأيام العادية لا يتجاوز القصد منها شغل الوقت بما يغير من طبيعة نوع النشاط الذى يمارسه الفرد طول النهار . والترويح عن النفس بنشاط مخالف من النوع الذى يحبه الفرد ويرغب فيه . والوقت الزائد فى الأيام العادية لا يسمح إلا بأنواع محدودة من النشاط الذى لا يتطلب جهداً . إذ يكفى جهد النهار وعمل النهار .. اللهم إلا إذا كان العمل اليومى من النوع الذى يشغل الذهن ويستدعى التفكير . ففى الحالة الأخيرة قد يفيد الترويح عن النفس بالعمل فى الحديقة مثلا ، أو بالقيام بنزهة على الأقدام الى الخلاء ... أو غير ذلك .

أما الاجازات الطويلة فأمرها يختلف . ذلك أن طبيعتها ، والوقت الكافى الممدود أثناءها ، يسمحان بتعدد أنواع النشاط التى يمكن أن تمارس خلالها . فضلا عن أن الغرض منها يكون هو القضاء على روتينية الأيام العادية وكسر حدة الرتابة التى يشعر بها الإنسان ، وهو يقوم كل يوم فى ساعة محددةليذهب إلى عمله ويبدأ فيه فى ساعة محددة كذلك ، ويمارس نشاطاً متشابهاً يوماً بعد يوم ، ولذلك فيفضل بالنسبة لها — أقصد بالنسبة للاجازات الطويلة — أن يمارس أثناءها نشاطاً ذا طبيعة مخالفة للنشاط العادى اليومى ، حتى نحقق الغرض الأساسى منها وهو القضاء على رتابة الحياة اليومية ، وأن يخطط لها الفرد مسبقاً لتتحقق هذا الغرض .. رحلة طويلة مثلا يروح فيها الإنسان عن نفسه ويستمتع فيها بمعايشة أجواء جديدة ، ويعيش أثناءها حياة تختلف عن الحياة التى كان يعيشها كل يوم . فهو يستيقظ أثناء رحلته فى مواعيد مختلفة ، ويمارس نشاطاً مختلفاً كذلك ، كأن يذهب لزيارة أماكن تاريخية مثلا ، أو يزور بعض المتاحف ، أو يستمتع بقضاء وقت سار على البحر يمارس أثناءه

رياضة السباحة .. ويعود كل يوم خالى الذهن من مشكلات عمل اليوم والتفكير فى مشكلات عمل الغد .... وهكذا .

من هذا يتبين لنا أن وقت الفراغ ليس هو الوقت الضائع من غير هدف ومن غير نشاط يبذله الفرد ، وإنما هو الوقت الزائد عن وقت العمل ، والذى يقضيه الفرد فى نشاط من نوع يحبه ويرغب فيه ، ويقبل عليه من تلقاء نفسه بقصد الترويح عن النفس والاستمتاع بالحياة .

ولذلك يفضل الكثيرون تسميته بالوقت الحر بدل وقت الفراغ . على أساس أن التسمية الأخيرة تعنى أنه غير مشغول بشيء على غير حقيقته . وإنما استخدمت كلمة وقت الفراغ لشيوعها ولكثرة تداولها على ألسنة الشباب ولمعرفتهم بالمقصود منها ، عكس كلمة الوقت الحر ، وإن كانت الأخيرة أكثر دلالة على المعنى الذى تهدف إليه . ولانى هنا أهتم أكثر بالعوامل المؤثرة فى شغل هذا الوقت ، وتوجيه الشباب نحو استغلاله والاستفادة منه بطريقة سليمة ، أكثر من اهتمامى بالتحديد الدقيق لمعنى الكلمة ، وإقحام الشباب فى مناقشات من هذا النوع .

العوامل المؤثرة فى شغل أوقات الفراغ :

لا شك أن اختيارنا لأوجه النشاط التى نشغل بها وقت فراغنا تتحكم فيه عوامل ويرجع إلى أسباب معينة ، ولا شك أن معرفتنا بهذه العوامل والأسباب التى تختفى وراء أوجه النشاط التى نختارها والتى يختارها أبناؤنا ، تساعد على توجيههم نحو أنواع النشاط المفيدة والتى تحقق لهم سعادة أكبر .

وأحد هذه العوامل هو البيت ، وخاصة الأبوان اللذان يؤثران تأثيراً كبيراً فى اتجاهات ابنهما وميوله . فالابن الذى ينشأ فى بيت يهتم فيه الأبوان

بالاطلاع ومناقشة أمور الحياة والتعليق عليها . يشب مثلها مولعاً بالاطلاع على حقائق الحياة . وينمو عنده بالتدريج الميل للأخذ بأسباب العلم والثقافة والابن الذى يعيش فى أسرة تهتم بالرياضة . ويأخذه أبوه معه إلى النادى ، مثلا من يوم لآخر ، حيث يمارس وعلى مرأى منه رياضته المفضلة ، ويناقش أمامه تفاصيل اللعبة والأخطاء التى ارتكبها أو ارتكبها الخصم . ويشركه بالتدريج معه فى المناقشة ، ويأخذ بيده مرة بعد أخرى نحو ممارسة اللعبة التى يتعشقها ، يشب مثله ميالا إلى اللعبة التى عاش جوها وتعرف على دقائقها يوماً بيوم .

والأب الذى يميل إلى الرحلات الطويلة . وينظم حياته على أساس أن يخرج كل عام ، أو كل فترة من الزمن . لرحلة من هذه الرحلات . يزور أثناءها أحد بلدان العالم . ليتعرف عليها وعلى حياة أهلها وعلى معالمها الرئيسية وتاريخ مدنها . ويأخذ أولاده معه عندما يصبح أولاده فى سن تسمح لهم بمشاركته رحلاته هذه . لابد سيكتسب أولاده من خلال رحلاتهم معه الميل أيضاً لهذا النوع من النشاط المفيد ، وتمضية أوقات فراغهم — وخاصة أيام الاجازات الطويلة — من خلاله .

أما الأب الذى يعيش حياة جافة بعيدة عن ممارسة أية هواية مفيدة ، أو شغل وقت الفراغ بنوع من النشاط البناء المرغوب فيه . والذى يقضى الأوقات الزائدة من يومه إما فى الاطلاع على الجرائد والمجلات أو فى النوم . أو ما أشبه . ولا يطيق أن يناقشه أبناؤه فى شيء . بل يطالبهم على الدوام بالتزام الهدوء ، واللعب بعيداً عنه . وتركه وشأنه .

أو الذى ينهر أبناءه كلما وجد من أحدهم ميلا للاهتمام بالرسم مثلا أو

الموسيقى أو جمع طوابع البريد .. أو نحو ذلك من أوجه النشاط ، وتمضية وقت فراغه من خلال النشاط الذى يحبه . على أساس أن هذه الأوجه من النشاط مضيعة للوقت ، وأنها نشاط فارغ . وأن الأولى أن يهتم بواجباته المدرسية ، ثم يلتزم بعدها الراحة والسكون ......

... لا شك يمتل فى أبنائه كل ميل للاتجاه نحو هواية مناسبة أو التفكير فى شغل وقت فراغهم فيما يفيد . وسيضطر أبناؤه فى أول الأمر للانصياع لأوامره . تنفيذ ما يطالبهم به من عدم الحركة والتزام الهدوء والسكون ، واللعب بعيداً عنه .... الخ ، طالما أنه قادر على تنفيذ ما يطلبه بالعقاب أو الإهانة أو حرمانهم من المصروف أو غير ذلك من الوسائل ، إن لم يلتزم أبناؤه بالطاعة ويحققوا له ما يريد . حتى إذا شب أبناؤه عن الطوق ، ووصلوا إلى سن الشباب ، سن الرغبة فى الحرية والاستقلال وتقدير الذات ، فسرعان ما يعلنون عصيانهم ، وسرعان ما يهجرون البيت الذى ضاقوا به وبقيوده وبأوامره .. إلى العالم الفسيح الذى يتمثل فى جماعات الأصدقاء ومجالات نشاطهم ، بعيداً عن عينى الأب وعيون الأهل ، وعن توجيهاتهم وإشرافهم وفى هذا ما فيه من خطر لو انحرفت هذه الجماعات إلى نشاط ضار يؤثر على سلوكهم وحياتهم بصفة عامة .

والمدرسة يمكن أن تقوم هى الأخرى ، بدور مشابه بالنسبة لتنمية ميول تلاميذها ، وتوجيه نشاطهم لشغل وقت الفراغ فيما يفيد .

فمدرس المطالعة مثلا الذى يقدم لدروسه بقصص لطيفة ، أو يعرضها بطريقة سهلة شيقة ، أو مدرس النبات وفلاحة البساتين الذى يستصحب تلاميذه إلى الحديقة ليروا بأنفسهم النبات المعين أو مجموعة النباتات موضوع الدرس ، ويساعدهم على إنباتها والعناية بها وملاحظة نموها فى هذا الجو

الطبيعى ... أو غير ذلك من أوجه النشاط ذات الصيغة الانفعالية السارة ، قد تساعد على نمو ميول التلاميذ نحو الموضوعات المتعلمة .

وفى الحقيقة ، فإن أغلب ميولنا لمواد الدراسة المختلفة تتكون عن هذا الطريق . فإذا درس كل منا نفسه وحاول أن يحدد السبب فى حبه لبعض ، المواد وكرهه للبعض الآخر ، لوجد أن السبب يرجع فى الغالب إلى الجو الانفعالى الذى صاحب تعلمها ، والطريقة التى كان المدرس يعالج بها المادة ويستخدمها مع التلميذ . فالأسلوب الجامد والقسوة والخوف والعقاب لا يتولد عنها إلا الكراهية ... كراهية المدرس وكراهية المادة التى يدرسها أما الأساليب المبنية على التشويق ، والصلة القائمة على التفاهم والمحبة والألفة بين المدرس والتلميذ ، فمن شأنها أن تجعل التلميذ أكثر إقبالا على مدرسه واستعداداً لتقبل دروسه ، وتجعله أكثر تشجعاً على السؤال والفهم والمناقشة وكلها عوامل تحبب التلميذ فى المادة أكثر وأكثر وتدفعه نحو تعلمها ... وتكرار تعرض التلميذ لمواقف من هذا النوع هو الذى يساعد على تكوين الميول وتقويتها ، بحيث تصبح آخر الأمر قوة لها أثرها تعمل على دفع التلميذ فى مواقف التعلم نحو تحقيق الأهداف والغايات المعينة .

ولا يقتصر حب التلميذ وميله للمادة المعينة على ما يتصل بأمور الدراسة . بل يمتد إلى وقت فراغه أيضاً . فيميل إلى شغل هذا الوقت بقراءات تتصل بالمادة أو الموضوع الذى يميل إليه . فالذى يميل إلى التاريخ ، سيبحث بلا ريب عن كتب ومصادر تاريخية يشغل بقراءتها وقت فراغه ، وسيميل إلى زيارة المتاحف ... وإلى مناقشة الأبوين ومدرسيه فى كل ما يتصل بقراءاته وزياراته .

والذى يميل إلى المواد والموضوعات العلمية ، لا شك أيضاً سيتجه إلى شغل أوقات فراغه بأمور تتصل بما يميل إليه ... عن طريق الاشتراك فى إحدى الجمعيات العلمية المدرسية مثلا ، أو عن طريق إنشاء معمل صغير خاص به يجرى فيه تجاربه ، أو عن طريق صنع أجهزة علمية بسيطة أو دوائر كهربية أو جهاز للراديو ... أو نحو ذلك . وكلها أمور بناءة تشغل وقت الفراغ بنشاط ممتع مفيد .

عامل آخر له تأثيره فى إختيار الشاب لوجه النشاط الذى يشغل عن طريقه وقت فراغه هو إمكانيات الشاب نفسه وقدراته .

فمنا من يولد وقد وهبه الله سبحانه وتعالى تكويناً جسمياً رائعاً يساعده على ممارسة أنواع من الرياضة والتفوق فيها . منا مثلا من تساعده قوة عضلاته على ممارسة المصارعة أو رفع الأثقال . ومنا من تساعدة قوة عضلاته واتساق حركاته على التفوق فى الألعاب السويدية أو فى التنس ... الخ .

ومنا من تكون موهبته لا فى تكوينه الجسمى ، وإنما فى تكوين عقله . فيتميز مثلا بقدرة موسيقية عالية ، أو بقدرة فنية تتيح له إمكانيات رائعة فى مجال الرسم أو النحت ... أو غير ذلك من نواحى نشاط العقل المختلفة .

وليس معنى هذا الكلام أن هذه القدرات تظهر وتعمل هكذا بدون حوافز وتشجيع من البيئة ، بل الثابت أن هذه القدرات تظل كامنة عند الفرد فى صورة استعدادات فطرية ، إلى أن تهيىء لها ظروف التدريب والمران والإثارة فرصة الظهور والعمل . وهذا هو السبب الذى يجعلنا عندما نتكلم عن المواهب والاستعدادات ، نتعرض باستمرار لدور الآباء والمدرسة فى الكشف عنها وإتاحة الفرصة لها للعمل ، عن طريق التعلم والتشجيع ، وعن

طريق تتبع خطوات ظهورها ونموها وإزالة العوائق من طريقها ، ومدها بما تحتاج إليه لكى تنشط وتؤدى دورها فى حياة الفرد .

ففرق كبير بين شاب ذى إمكانيات عالية فى مجال معين من مجالات النشاط العقلى ، فى الموسيقى مثلا أو الرسم أو مجال من مجالات النشاط العلمى يتيح له أبوه عن طريق تزويده بما يحتاج إليه من الأدوات التى يمارس عن طريقها النشاط فى المجال الذى يتفوق فيه ، والكتب والإرشادات والتوجيهات ويساعده إذا احتاج إلى المساعدة ... فرق كبير بين هذا الشاب الذى يشجعه أبوه ويوالى تدعيم نشاطه ، وبين شاب آخر ذى إمكانيات عالية أيضاً لا يشجعه أبوه ولا يهتم بأمره ، ويترك موهبته لتدفن حية من غير أن تتاح لها فرصة للظهور أو النمو .

وفرق كبير أيضاً بين مدرسة توجه كل اهتماماتها لمواد التعليم الرسمية وتلقين تلاميذها هذه المواد بطريقة جافه تجعل التلاميذ يتقبلونها على علاتها ، ويتعلمونها بقصد النجاح فيها فحسب ... وبين مدرسة أخرى تعمل باستمرار على كشف الاستعدادات العقلية المختلفة عند تلاميذها ، وتعمل على ظهور مواهبهم كل فيما يتميز فيه . وتوالى عن طريق التشجيع والحوافز المختلفة التى تقدمها ، وعن طريق طرق التدريس المناسبة والوسائل التعليمية التى تستخدمها ، على استثارة هذه المواهب والاستعدادات وقدحها ، لتبرز وتعمل ، وتصل بها إلى أقصى ما يستطيعه كل تلميذ .

عن مثل هذا الطريق تظهر المواهب وتنمو ، وفى اتجاهه يجب أن تسير تربيتنا لأبنائنا ، بموالاتهم بالتشجيع والتوجيه نحو اختيار أوجه النشاط المناسبة

التى تساعدهم إمكانياتهم واستعداداتهم على النجاح فيها . وبالعمل على نمو هذه الإمكانيات والاستعدادات وصقلها ، عن طريق مناهج التعليم الأصلية ، أو عن طريق الجمعيات العلمية والفنية وغير ذلك من مجالات النشاط المدرسى التى تهتم بهذه النواحى . أو عن طريق الأداء الفردى والاهتمامات الخاصة لتنمية هذه الإمكانيات والاستعدادات فى المنزل أو غير ذلك من المجالات .

وحياة الشاب نفسها وطبيعة عمله – ان كان يعمل – لها دور كبير أيضاً فى توجيه اختياره نحو نوع النشاط الذى يستغرق وقت فراغه ..

فالطبيب مثلا أو الكيميائى ، الذى يقضى أغلب وقت عمله فى مجهود ذهنى متصل واستغراق عقلى كامل فى العمل الذى يؤديه . فى الجراحات التى يجريها مثلا أو فى الكشف عن طبيعة ومسببات الأمراض التى يعانى منها مرضاه (بالنسبة للطبيب) ، أو فى التحليلات الكيميائية التى يقوم بها الكيميائى ... أو نحو ذلك . الشاب العامل فى مثل هذه الميادين من النشاط العلمى فى حاجة لأن يقضى وقت فراغه منطلقاً من قيود العمل الفكرى . فيناسبه مثلا أن يمارس هواية فلاحة البساتين ، أو تربية نباتات الزينة أو تربية أنواع من الطيور .. الخ ، يقضى بينها ومن خلال ساعات اهتمامه بهوايته ، أوقاتاً ممتعة منطلقاً بعيداً عن كد الذهن وشغل العقل بأمور علمية دقيقة .

أما العامل أو المهندس الذى يقضى وقته متنقلا من مكان إلى مكان بين الآلات يراقبها أو يصلحها ، أو المزارع الذى يقضى وقته فى حركة مستمرة تحت وهج الشمس وتقلبات الجو ، أو التاجر الذى يظل مشغولا طول النهار بأمور تجارته وتصريفها .. فلا يناسبه ، أن يكمل بقية اليوم فى عمل عضلى آخر

بفلاحة البساتين مثلا أو ما أشبه . وإنما قد نجد راحته فى القراءة مثلا أومشاهدة التلفزيون .. أو نحو ذلك .

وما ينطبق على الشاب العامل فى الأمثلة السابقة ، ينطبق أيضاً على الشاب الذى لم يعمل بعد . التلميذ مثلا الذى يظل طيلة العام الدراسى يعمل كالآلة ، يصحو فى مواعيد ، ويذهب إلى المدرسة ويأخذ دروسه فى مواعيد لا تتقدم ولا تتأخر ، يعود بعدها إلى المنزل ليعمل عدداً معيناًمن الساعات فى المذاكرة... وهكذا حتى يأتى وقت الامتحان .

هذه الدوامة من العمل المتواصل على نمط واحد تجعله ينحرف من حيث لا يدرى إلى الآلية التى تقتل فيه كل حماس ، والتى تطبع حياته بطابع ممل رتيب ينعكس فى نظرته إليها ، كما ينعكس فى صحته الجسمية والنفسية معاً ، وتتيح له أوقات الفراغ — وخاصة فى الاجازات الطويلة — فرصة لتغيير هذه العادات الآلية ، والبعد عن هذا النمط المألوف من الحياة اليومية . عندما تتغير طبيعة نشاطه وعاداته .. وتتجه إلى أنواع جديدة كالرياضة أو ممارسة هواية من الهوايات كصيد السمك أو الرسم أو أعمال النجارة أو التصوير أو التمثيل .. أو غير ذلك من أوجه النشاط .. يبعد بها عن أعماله اليومية التقليدية ويحصل من خلالها على متعة وسعادة حقيقيتين ، فضلا عن إشباعها للكثير من حاجاته الجسمية والانفعالية والعقلية .

فسلامة تكوين أجسامنا مثلا تتوقف على ما نمارسه من تمرينات رياضية ومشاركة فى بعض ألعابها . وهذا لا يتيسر للتلميذ بشكل منتظم وكاف أثناء العام الدراسى ، بل إن طبيعة العمل أثناء الدراسة تفرض عليه الانكباب على

المكاتب أثناء العمل بالفصول أو أثناء المذاكرة فى البيوت ، مما يجعل الأجسام أميل إلى التصلب ، وأحوج من ثم إلى الانطلاق عن طريق مزاولة لعبة أو ممارسة رياضة تخرجها من حالة الجمود ، وتبعدها عن هذه الأوضاع المتصلبة التى تعودت عليها لتعود إلى طبيعتها المرنة المتسقة . وفى الوقت نفسه تتيح فرصة لأعصابه المكدودة المشدودة لأن تهدأ وتستريح . وهذه حاجات لابد منها لسلامة بناء الجسم وتكوينه العضلى وصحته كذلك . وليس هناك أفضل — كما ذكرت — من أوقات الفراغ الطويلة ، يمكن أن نحقق فيها هذه الحاجات ، ونعيد عن طريقها لأجسامنا ما هى فى حاجة إليه من الانطلاق وحرية الحركة والمرونة والاتساق .

وفضلا عن ذلك ، فإن أغلب النشاط المدرسى الذى يمارسه أبناؤنا طول العام ، من النوع الذى يعتمد على القراءة والكتابة والحفظ . ونادراً ما يمتد هذا النشاط ليشمل الجانب العملى اللهم إلا عند إجراء بعض التجارب المحدودة فى دروس العلوم .. أو ما أشبه . وأبناؤنا فى حاجة إلى التدريب على هذه النواحى العملية ، وإلى إكتساب عدد من المهارات . وتتيح أوقات الفراغ الطويلة بالمثل فرصة كبيرة لإكتساب هذه الخبرات العملية والمهارات . كالأهتمام بأعمال النجارة وعمل نماذج بسيطة عن طريقها ، أو إصلاح بعض أدوات المنزل أو قطع الأثاث .. أو طلائها . أو مثل القيام ببعض الأعمال الميكانيكية أو توصيل بعض الدوائر الكهربية .. أو ما أشبه .

ويهمنى أن أذكر بهذا الصدد ، أن الأدوات التى تساعد أبناءنا على ممارسة هذه الأنواع من النشاط العملى ، وإكتساب عدد من المهارات عن طريقها ، متوافرة . ويحسن بالآباء أن يوجهوا أبناءهم إليها ، ويشجعوهم على التدريب عليها وممارستها .

وهكذا يمكن أن ننظر إلى وقت الفراغ - من هذه الزاوية - على أنه يكمل فى حياة الفرد ما ينقصه فى حياته العامة وحياته العملية (أو المدرسية) بصفة خاصة . حتى تتوازن الكفتان وحتى تستقر بالفرد الحياة .

ناحية أخرى جديرة بالأهتمام . هى أننا كثيراً ما ننظر إلى أوقات الفراغ على أنها أوقات راحة واستجمام . بمعنى أن لا نعمل أى شىء فيها . وإذا كان هذا الكلام صحيحاً بالنسبة لفترات الراحة التى نحتاجها بين ساعات العمل . فالجسم فى حاجة حقاً ، والعقل كذلك ، للراحة بين ساعات العمل المتتالية . التلميذ مثلا يحتاج بين ساعات مذاكرته إلى وقفات يسترخى أثناءها ويتيح لجسمه المكدود ولعقله المتعب فرصة للراحة والاستجمام . والطبيب يحتاج بين كل جراحة والتى تليها ، أو بعد عدد من الجراحات التى يجريها ، إلى فسحة من الوقت يسترد فيها أنفاسه ويسترخى فيها تماماً بعيداً عن أى مشاغل تستحوذ على ذهنه أو ترهق بدنه . إلا أن هذا الكلام ليس صحيحاً على طول الخط وفى جميع الأحوال . فهذه الأوقات التى نستريح فيها ليست أوقات فراغ ، وإنما هى جزء من وقت العمل . فأوقات الفراغ هى التى نشغلها بما يفيد . ولا تحقق الغرض منها ، بل وقد تكون ضارة ، إذا لم تهدف لشىء أو تشبع حاجة . أضرب مثالا لذلك بالتلميذ الذى يظل يحلم طوال العام ، وهو فى دوامة دراسته اليومية ومذاكرته واستعداده للامتحان بأيام الأجازة الصيفية وكيف سيستريح فيها من كل عمل . ولكن متى جاءت الأجازة ، وأصبح الحلم حقيقة ، فإنه يفرح بها حقاً أول الأمر ، فقد ترك وراءه عمله اليومى الرتيب ، وترك وراءه ساعات يقظته المبكرة وإسراعه فى الإفطار وفى الخروج ليلحق بمواعيد دراسته ... ترك وراءه مواعيد الحضور والانصراف وسماع صوت الأجراس . يفرح به

لأنه يخلصه من دوامة العمل هذه التى كان يعيشها ومن ساعات الدراسة والمذاكرة التى كان يجبر عليها . ولكن بمضى أيام الأجازة يوماً بعد آخر . يبدأ فى دوامة أخرى من الملل . فأيام الدراسة كانت تشغله ، أما أيام الأجازة فليس فيها ما يشغله . هذا إذا لم يتنبه إليها ويخطط لها التخطيط السليم، ويشغلها بما يفيد .

إننا حقاً فى حاجة إلى الراحة وإلى الترويح عن النفس وتغيير عاداتنا اليومية خلال عطلة الصيف . ولكن ليس معنى الراحة والترويح عن النفس وتغيير عاداتنا أن نخلد إلى السكون التام وأن نبقى فى البيت على الدوام . قد يظن التلميذ أن قضاء أيام اجازته بهذا الشكل الأخير هو المتعة الكاملة ، وأنه هو الترويح الحقيقى عن النفس بعد تعب العام الدراسى . ولكن هذا الظن لا يمثل الحقيقة الكاملة ، بل بعض الحقيقة. وهو رد فعل لأيام التعب والجهد أثناء العام الدراسى ، وخاصة خلال الأيام الأخيرة منه — أيام الاستعداد للامتحان — التى كان يفرح فيها ببعض دقائق الراحة يقضيها بين ساعات المذاكرة المتلاحقة . ولذلك فأحلامه كانت تنصب فى هذه الأيام على اللحظة التى يفرغ فيها من الامتحان، ويطرح فيها الكتب وراء ظهره ، ويخلد فيها إلى الراحة والخمول والكسل التام .

ولكن رد الفعل هذا لن يلبث أن يقل أثره بالتدريج ، ولن يلبث بعد مدة من أيام الكسل والنوم والراحة ، أن يمل هذا الكسل ويكره هذه الراحة. قد يعترض التلميذ على كلامى هذا وهو فى أيام كسله الأولى ، ولكن الحقيقة ستظهر فيما بعد ، بعد أن تمتد به الأجازة وهو يعيشها بهذا الشكل .. ستظهر فى صورة ثورات الغضب التى تنتابه لأقل شيء يضايقه ، وفى معاكساته

لإخوته ، وشكواه من أبويه ، وعدم رضاه عن الطعام الذى يقدم إليه .. ستظهر من خلال المناقشات التى تدور بينه وبين إخوته وأهله والتى تعبر عن ملله وضيقه وشكواه من أيام الخمول والنوم داخل جدران البيت . وأمهاتنا أكثر إدراكاً لهذه الحقيقة ، ولذلك فهن يحسبن ألف حساب لأيام الأجازات ، ويكرهن أن يستمرىء الإبن القعود فى البيت ، ويتوقعن المشاكل بإستمرار من الإبن الذى يفضل أن يقضى أجازته بهذا الشكل .

التخطيط لشغل أوقات الفراغ :

إن شغل أوقات الفراغ ليس بالأمر الهين بالنسبة لحياتنا . فأوقات فراغنا تشغل جزءاً كبيراً من هذه الحياة . والذين يفكرون منا فى حدود عملهم أو دراستهم فحسب ، ويجرفهم تيار العمل أو الدراسة ، وتتعاقب عليهم الأيام بدون وجود ما يرفه عنهم ، وبدون ارتياد نشاط خاص أو هواية تروح عن نفوسهم وتستحوذ على بعض اهتماماتهم .. تستهلكهم الأيام بسرعة ، ويضيقون فى النهاية بحياتهم .. حياة العمل فحسب .. العمل الرتيب الممل الذى يقتل فيهم كل حماس أو إحساس آخر بالحياة .

ولكن هذه الأوقات التى يمكن أن نستمتع من خلالها ونستفيد من ورائها أشياء كثيرة ، تذهب سدى وتضيع من غير فائدة إذا لم يسبقها تخطيط سليم . فالحادث أنك إذا سألت أغلب أبنائنا بعد إنتهاء العطلة الأسبوعية أو العطلة الصيفية ، ماذا فعلت خلال هذه العطلة .. فلن تخرج إلا بإجابات متشابهة ، هى أنهم قضوها فى الزيارات وفى مصاحبة الأصدقاء للمشى مجرد المشى أحياناً ، أو لمجرد الكلام أحياناً أخرى ، أو نحو ذلك من أوجه النشاط الغير هادفة والغير مثمرة والتى لا تحقق نتيجة ، أو حتى تساعد على الترويح عن النفس والانطلاق

بها من قيود العادات المألوفة . فالزيارات .. مجرد الزيارات ، أو الكلام مع الأصدقاء ، قد يستمتع بها الفرد فى الأيام الأولى من الإجازات الطويلة ، وإذا لم تتكرر فى حياته كثيراً . لأنه يكون متشوقاً إليها . ولكنها متى تحققت مرة بعد مرة ، فالنتيجة الحتمية أن يملها الفرد . ويبحث عن جديد يبعد عن ملله . وما لم يكن هذا الجديد من النوع الذى يستغرقه، ويشبع فيه حاجات حقيقية يريدها ، وما لم يكن من النوع الذى يعطيه إهتمامه ويشغل باله ويسد نواحى أساسية فى حياته .. فلن يحقق من ورائه نتيجة أكثر من النتيجة التى تحققها الزيارات أو الكلام العابث الغير مجدى والغير مفيد .

ولذلك فإن ما قد يتبادر إلى الذهن من أسئلة حول أوقات الفراغ يجب أن تتجه إلى تحديد هذه الأوقات ، وكيفية شغلها .. وأفضل الوسائل التى تحقق هذه الغاية ، والنتائج التى نخرج بها منها .. إلى غير ذلك من الأسئلة الموجهة التى تحدد الطريق نحو تخطيط سليم لشغل هذه الأوقات :

وأول هذه الأمور التى يجب أن نضعها فى اعتبارنا ونحن نخطط لشغل أوقات فراغنا ، هى طبيعة الوقت نفسه الذى نخطط له . فما قد يفيد بالنسبة للوقت الفائض عن العمل اليومى ، غير الذى يفيد وقت الفراغ يوم العطلة الأسبوعية ، ويختلف بالطبع عن ذلك الذى يصلح للإجارات الطويلة الممدودة .

نقطة أخرى هى أن اختيارنا لما يشغل وقت فراغنا يجب أن يتفق ويناسب استعداداتنا وإمكانياتنا وميولنا الخاصة . ولذلك يصبح علينا قبل أن نختار نوعاً معيناً من النشاط نشغل به وقت فراغنا أن نختبر أنفسنا أولا وندرس قدراتنا وإمكانياتنا الجسمية والعقلية والشخصية المختلفة . فلا نسرع بإختيار أى هواية أو أى نوع من النشاط نسد به وقت فراغنا . بل ويجب أن نسأل أنفسنا عما

ستحققه لنا هذه الهواية أو هذا النشاط من شعور بالارتياح والنجاح وما سنجنيه من ورائها . وإذا تعذر علينا الحصول على هذه النتيجة من خلال هواية ما ، أو من خلال ممارستنا لبعض أوجه النشاط ، فيجب أن نتحول عنها إلى هواية أخرى أو إلى مصدر آخر . فشغل أوقات الفراغ ليس واجباً مدرسياً نحن مضطرون للقيام به رضينا أم لا نرضى ، وليس عملا مهنياً نحن مجبرون للقيام به لسد حاجات معيشتنا أو حاجات الأهل ، بل هو نشاط نختاره بأنفسنا ليحقق لنا بعض الراحة وبعض السعادة وبعض الفائدة .

ويجب ونحن أن ندرس بيننا وبين أنفسنا هذه الأمور ونحاول أن نختار نوع النشاط الذى نحبه ، ألا نتسرع ونخضع لتأثيرات الغير ونقلدهم . فميولنا ليست واحدة وما يناسب غيرنا ليس بالضرورة أن يكون ما نرغب فيه نحن . ويفيد أن نستعرض أنواع الهوايات الممكنة وأنواع النشاط التى يمكن أن نمارسها حسب أوقات فراغنا ، وأن نحدد من بينها ما يصلح لنا وحدنا ، أو ما يصلح لنا مع غيرنا من الأصدقاء والزملاء . ويفيد أيضاً أن نشرك الغير — وخاصة الكبار الذين يفهمون هذه الأمور والذين مارسوا هذه الأوجه من النشاط وعاشوا هذه الأنواع من الخبرات — فى دراستنا لها . ولكن النتيجة الأخيرة والاختيار النهائى لابد وأن يصدر عنا نحن أنفسنا ، ويجب أن نرتاح إليه .

وظروفنا الاقتصادية والاجتماعية بدورها ، يجب أن تؤخذ فى الاعتبار ونحن نخطط لشغل أوقات فراغنا

فقد تكون الهواية التى يختارها الشاب مثلا ، أو نوع النشاط الذى يفضله من النوع الذى لا تمكنه ظروفه المادية من تحقيقه ، أو قد يكون من النوع الذى لا يرضى به الأهل .. وكلها أمور يجب أن ننتبه إليها . قد يفكر الشاب مثلا

فى القيام برحلة بعيدة أثناء العطلة الصيفية . وقد تكون للرحلة فوائد كثيرة تعود على الشاب وقد يكون فى حاجة إليها حقاً . ولكن قد يقف ضدها صغر سنه وخوف الأبوين عليه ، وعدم اطمئنانهما إلى أنه وحده قادر على القيام بها. أو قد يريان أرجاءها إلى وقت آخر يتمكنان من مشاركته فيها . أو قد تحتاج الرحلة إلى نفقات ليس فى مقدور الأسرة أن تتحملها أو غير ذلك من الأسباب التى يجب أن يقدرها الشاب ويضعها فى اعتباره وهو يخطط لنشاطه .

والتخطيط السليم أيضاً هو الذى لا يبدد من الوقت أكثر مما ينبغى ، والذى نحصل منه على أكبر فائدة ممكنة ، أو نحصل منه على فائدة تعادل الجهد والنفقات التى تبذل لتحقيقه ، والذى يضمن لنا مصدراً للراحة والمتعة أطول وقت ممكن.

فنحن عندما نختار هواية مثلا مثل التصوير أو صيد السمك لنشغل عن طريقها وقت فراغنا ، غيرنا عندما نختار رحلة خاطفة أو نزهة سريعة ثم نعود منها . فالتصوير أو صيد السمك سيشغل جزءاً كبيراً من وقت فراغنا ، ويملأ هذا الوقت بشىء نرتاح إليه ونحبه ونستمتع به . عندما نتابع هواية التصوير مثلا ، بإختيار الأماكن المناسبة التى نصورها ، ونخطط للذهاب إلى هذه الأماكن فى الأوقات المناسبة وعندما نجمع الصور فى النهاية وننظمها ونعرضها فى مجموعات تمثل كل منها إحدى المناسبات ، أو نحتفظ بها فى ألبومات خاصة. ففى خلال هذا الوقت الطويل الذى يمتد يوماً بعد يوم نمضى ساعات طيبة فى عمل نحبه ونميل إليه ، ونتعلم من ورائه أيضاً الشىء الكثير عن الأشياء التى نصورها . ونحن من خلال هذا كله نحقق لأنفسنا قدراً من المتعة والسرور والزهو لا يقل عن سرورنا وزهونا عندما نحقق نجاحاً فى الدراسة أو فى العمل.

والفرق بين ما نحصل عليه من خلال الدراسة مثلا وما نحصل عليه نتيجة

ممارستنا لإحدى الهوايات ، هو أننا نعتبر الدراسة عملا وواجباً لا بد منه ، أما الهواية فتسلية نقبل عليها من تلقاء أنفسنا . ولكن النتيجة التى نحققها من كل منها واحدة . فلا نجاح فى الدراسة بدون تخطيط وبدون إهتمام وبدون نشاط نمارسه ونصل نتيجته إلى النجاح الذى نريده ، ولا نجاح فى الهواية بالمثل دون إهتمام ودون تخطيط ودون نشاط نمارسه أيضاً ونصل نتيجته أيضاً إلى تحقيق الأغراض التى نريدها . وإن كانت تأديتنا للأعمال المدرسية تتم فى أغلب الأحوال بحكم الضرورة . أما الهواية ، وإن كانت تحقق لنا فوائد مماثلة ، ونجنى من ورائها ثماراً لا تقل عنها أهمية ، فنحن نحبها ونسعد بالوقت الذى نمضيه فيها .

مجالات شغل أوقات الفراغ :

أين يقضى المراهقون والشباب أوقات فراغهم ؟ هذا السؤال يمثل مشكلة حقيقية فى حياة الشباب ، لأن أغلبهم لا يعرف طريقه للإجابة عليه . ولأنهم كثيراً ما يقعون فى مشاكل وخلافات مع الآباء بسببه .

فأغلب المراهقين يميلون إلى قضاء أوقات فراغهم خارج المنزل مع مجموعة من زملائهم . وهو أمر لا يرتاح إليه الآباء فى العادة ، بل يفضلون أن يقضى أبناؤهم هذه الأوقات داخل المنزل تحت إشرافهم المباشر .

وأحب أن أعود وأنبه — فيما يختص برغبة المراهقين هذه فى الخروج ومرافقة أصدقائهم الذين من نفس سنهم — أنها إحدى خصائص فترة المراهقة التى تتميز بالرغبة فى الاستقلال وتكوين العلاقات الخاصة والاشتراك فى أوجه النشاط الاجتماعى التى يشاركهم فيها زملاء من نفس سنهم ، ولهم نفس ميولهم واهتماماتهم .

قد يعتقد الآباء نتيجة لذلك أن حب أبنائهم لهم قد فتر وأن علاقتهم بالأسرة قد ضعفت . ولكن هذه ليست هي الحقيقة . فالأسباب التي تدعو الشباب إلى الخروج من المنزل والبحث عن جماعة من نفس سنهم ، هي نفسها الأسباب التي تجعل الكبار يفضلون قضاء أوقات فراغهم مع من هم في مثل سنهم .. وهي وجود الميول المشتركة والشعور بالمشكلات الواحدة ، تلك الميول والمشكلات التي يعتقد المراهقون أن الكبار لا يحسنون تقديرها أو فهمها ، تماماً كما يعتقد الكبار أن المراهقين لا يقدرون أو يفهمون مشكلاتهم الخاصة. فضلا عن رغبة الشباب في حرية الكلام وتناول موضوعات قد يخجلون من مناقشتها وتداولها أمام الكبار .

وهم يعلمون — أعني المراهقين — أن أصدقاءهم لا ينتقدونهم فيما يفعلونه كما ينتقدهم الكبار ، ولا يشعرون أمام أصدقائهم بالحرج فيما يأتونه من دعابات بريئة أو حركات لا يستطيعون الإتيان بمثلها أمام الكبار .

والخلاصة .. أن المراهقين يشعرون بأنهم يحصلون على فهم وتقدير حقيقيين أكبر من الفهم والتقدير اللذين يحصلان عليهما داخل المنزل ، وأنهم يحظون خارج المنزل بحرية الحركة والمناقشة وتداول الموضوعات الخاصة أكثر منه داخله . وغالباً ما يكونون على حق في شعورهم هذا .

والاشتراك في مجموعة من نفس السن أمر طبيعي . وعلى الرغم من أنه يضع أمام الآباء عدداً من المشكلات ، إلا أن هذه المشكلات أقل أهمية مما ينظر إليها عادة ، إذا أدركنا أهمية هذه العلاقات الاجتماعية بالنسبة للشباب . فمن المحتمل أن يتعرض المراهق الذي يقضي أغلب وقته في عزلة وعلى إنفراد ، أو الذي يفضل مجالسة أفراد أكبر منه في السن ، أو أقل منه في السن ، لمشكلات

أكثر خطورة . أما المراهق الذى يصادق عدداً من أنداده . ويشاركهم نشاطهم الاجتماعى ، فعلى الرغم من أنه لا يجد إلا وقتاً قصيراً يقضيه مع الأبوين ومع الأسرة ، إلا أنه على العكس يكتسب خبرة قيمة فيما يتصل بأساليب التعامل مع الآخرين ، وتنمية الصداقات المفيدة .. وغير ذلك من العلاقات الاجتماعية التى تساعده على أن يخطو خطوة كبيرة نحو النضج الكامل .

والمشكلة على وجه العموم ليست مشكلة إنضمام الشباب بعضهم إلى بعض وتكوينهم مجموعات (أو شلل) خارج المنزل .. وإنما المشكلة هى أين تقضى هذه المجموعات أوقاتها .. وكيف تتصرف ؟ وهو السؤال الذى طرحناه فى بداية الحديث عن هذا الموضوع .

الملاحظ أن الأماكن المفضلة عند أغلب شبابنا هى المقهى ، والمشى فى الشارع ، والوقوف على نواصى الشوارع وفى الميادين . وفى أوقات متقطعة متباعدة قد يذهبون إلى شاطىء البحر فى أيام الصيف . أو قد يترددون على دور السينما أو يذهبون لمشاهدة مباراة رياضية وخاصة كرة القدم .. أو ماأشبه

وفى الحقيقة لا يمكن أن نسمى الجلوس فى المقهى أو المشى فى الشارع أو الوقوف فى الميادين أو نحو ذلك شغلا لوقت فراغ . بل الحقيقة هى أن الوقت الذى يقضيه الشاب فيها .. فى المقهى أو الشارع أو غيرهما هو نفسه فراغ يحتاج لما يملؤه . يملؤه المراهقون فى العادة بالكلام والتعليقات والمناقشات الغير موجهة والغير مفيدة ، وإنما القصد منها هو مجرد تزجية الوقت . وقد يمل الشاب آخر الأمر هذه الصورة التى تتكرر كل يوم فيبحث عن جديد يذهب عنه ملله . وهنا قد تظهر صور أخرى أكثر خطورة.. كالمشاكسة والاعتداء على الغير ،

أو الاتجاه إلى الخمر أو إلى المخدرات..أو نحوهاو كلهااتجاهات تنذر بإنحرافات خطيرةفى سلوك الشاب .

والآن ما هو الحل ؟ هل نترك المراهقين يقضونوقتهم هكذافيما لا يفيد، وفيما قد يعود عليهم بالضرر . أم هل نتدخل فى الأمر ، ونمنعهم من الخروج ومن الاندماج مع زملائهم . كلا الأمرين ضار ولا يأتى بنتيجة.والطريق السليم وسط بينهما. فبعض الإشراف من جانب الكبار،مرغوب فيه،بل وضرورى، لكى يكونوا على بصيرة بالمدى الذى ذهب إليه أبناؤهم من الشباب . وحتى يأخذوا بزمام الموقف فى الوقت المناسب ، إذا بدأت لهم بادرة من بوادر الانحراف فى سلوك المراهق . وحتى لا يتطور الموقف ويتأزم ويصل إلى الدرجة التى يصعب بعدها تقويمهم والرجوع بهم إلى جادة الصواب . ولكن يجب من ناحية أخرى ، أن يفهموا الشباب ، وأن يقدروا رغبتهم فى الشعور بالحرية والاستقلال ، وأن يكون إشرافهم لذلك من بعيد وبالقدر المعقول .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يجب أن نوفر للمراهقين فرص الترفيه السليم ومجالات لشغل وقت الفراغ لا تخضع لإشراف الكبار المباشر ، بل تسمح للمراهقين بقدر من الحرية التى يفضلونها ، مثل أندية الشباب الخاصة والأندية الرياضية والثقافية والجمعيات الفنية والأدبية .. الخ ، حتى يستطيع الشباب أن يتصرفوا بحرية ، وحتى يكتسبوا فى الوقت نفسه بعض أساليب التعامل الاجتماعى السليم .

ولكن ما هى أنواع النشاط التى يمكن أن يمارسها الشباب من خلال هذه المجالات ، وخلال أوقات فراغهم بصفة عامة . هناك فى الواقع أنواع كثيرة نذكر منها :

١ — القراءة :

وهى أكثر أنواع النشاط إستخداماً من الشباب . يقبل عليها الجميع لسهولة الطريق إليها ، ولأن كل واحد يجد ما يحبه ويميل إليه . فضلا عن أنها لا تكلف الشاب إلا القليل ، وتستقطع من وقته ما يمكن أن يعطيه لها . فهو يستطيع أن يقرأ بعض الوقت ، ويرجىء بقية الكتاب أو الرواية أو المجلة إلى وقت آخر .

والملاحظ بصفة عامة أن الشباب يقبل على مادة القراءة السهلة التى لاتحتاج إلى مجهود ذهنى والتى يستطيع فهمها وحده دون معونة الآخرين ، اللهم إلا بالنسبة للقراء الذين يهتمون بمجالات علمية محددة تتصل بهواية خاصة أو رغبة معينة ، كأن يهتم الشباب مثلا بقراءة كتب اللاسلكى لأن اهتماماته تتجه إلى عمل جهاز راديو مثلا أو معرفة طرق الاتصال اللاسلكى أو ما أشبه. أو بالكتب التى تبحث فى تربية الدواجن أو الزهور ليتعرف على أنواعها وعلى الفروق بينها .. ليختار نوعاً منها يقوم بتربيته والعناية به .. أو نحو ذلك .

وربما كان إقبال الشباب على الكتب السهلة والقصص والمجلات الخفيفة يرجع إلى أنه ينظر إلى مادة القراءة التى يشغل بها وقت فراغه على أنها مادة للترويح عن النفس ، وليس لأى غرض نفعى آخر . ولذلك فهو يفرق بينها وبين قراءة مواد الدراسة . إذ يعتبر الأخيرة عملا بينما يعتبر القراءة أثناء وقت الفراغ مجرد شغل لهذا الوقت ، كما يشغله بالحديث العابر أو الاستماع لأغنية. أو نحو ذلك ، لا هدف من ورائه إلا مجرد تمضية الوقت والشعور بالراحة وخلو البال .

ولكن دعنا نتساءل ما الفرق بين القراءة فى وقت الفراغ والقراءةللمذاكرة مثلا . إن الفرق يكمن فى أن المادة التى يقرأها التلميذ أثناء المذاكرة يجب أن يتعلمها لكى يجتاز الامتحان . أما القراءة أثناء وقت الفراغ فإنه يختار مادتها بنفسه وحسب ميله الخاص ، ولا ينظر إلى النتائج التى يخرج بها منها كفوائد تعود عليه . وإنما يكتفى بالساعات الحلوة التى تمر وهو يستمتع بقراءته . وفى الحقيقة إن ما يقرأه الإنسان حسب ميله الخاص ، والمادة التى يختارها بنفسه ربما تكون أدعى للفائدة وأدعى لأن تبقى معه . فكلنا يعرف أن المادة التى تفرض علينا فرضاً والتى نجبر على تعلمها ، يكون تعلمنا لها وحفظنا إياها .. حفظاً مؤقتاً ينتهى بإنتهاء الغرض منها .. الغرض الذى يتمثل فى هذهالأحوال فى حفظها حتى وقت الامتحان . ولذلك فنحن ننسى عادة أكثر ما تعلمناه طول العام بعد الامتحان . أما مادة القراءة التى نقبل عليها بشغف ونختارها بأنفسنا فلا تضيع بمثل هذه السهولة .. ولذلك فهىأدعىأن تكونذاتفائدة.. اللهم إلا إذا كانت مجرد روايات عابثة لا تهدف إلى شىء .

٢ – النشاط الإبداعى :

من الشباب من يتميز فى ناحية أو أخرى من نواحى النشاط الإبداعى ، منهم الموهوب مثلا فى النواحى العلمية ، الذى تمكنه استعداداته العالية للتفوق فيها والذى يحب أن يستغل موهبته هذه فى عمل أجهزة علمية أو إجراءتجارب من نوع معين ؛ فتشجيعه والحالة هذه على ممارسة أوجه النشاط التى تتلاءم مع استعداداته ، واستغلال هذه الإمكانيات المتفوقة فى شغل أوقات فراغه فيما يعود عليه بالنفع ويتيح لهذه الاستعدادات الفرصة لأن تتفتح وتعمل وتستمر فى نموها حتى تؤتى ثمارها المرجوة .. أمر ضرورى، ليس بالنسبة لشغلأوقات

الفراغ فحسب ، بل وبالنسبة لمستقبله كذلك . ومنهم الموهوب فى الموسيقى أو كتابة الشعر أو كتابة القصة أو غير ذلك من مجالات النشاط الإبداعى .

وفى الحقيقة لا تعطى البرامج المدرسية هذه النواحى فى العادة أهمية خاصة. وتقصر اهتمامها على موضوعات الدراسة الأكاديمية التى يعالجها الطالب بقصد الامتحان فيها ، وليس بقصد إبراز إمكانياته الذاتية ونواحى تفوقه فى ميدان خاص . ولاشك أن هذه المجالات تحتاج إلى رعاية خاصة من المدرسين عندما يكتشفون أن أحد تلاميذهم يبرز فيها بشكل غير عادى ، وإلى حكمة التصرف حتى يقبل عليهم الموهوبون وحتى يتشجعوا فى عرض إنتاجهم عليهم ، وإلى الأخذ بأيديهم والترفق بهم والسير بهم خطوة خطوة ، وعدم توقع الكمال منهم منذ بداية الطريق .. بل يكون حكمهم على أعمال تلاميذهم الموهوبين واقعياً وعلى ضوء مستوى تعليمهم ونوع التدريب الذى تلقوه ودرجة نضجهم بالمقارنة بمستويات الآخرين الذين فى مثل ظروفهم ومستواهم التعليمى .

ولاشك أيضاً أن إبراز إمكانيات الموهوبين فى حاجة أيضاً لإتاحة الفرصة لها عن طريق توفير الجو الملائم لاستغلالها وتوجيهها التوجيه السليم .

وخير وسيلة لذلك هى الاستفادة من أوقات فراغهم بعد اليوم المدرسى أو أثناء الاجازات ، والاهتمام بتكوين الجمعيات التى يمكن أن ينضم إليها الموهوبون فى المجالات المختلفة .. كالجمعيات العلمية والأدبية أو جماعة القصة أو نوادى اللغات ... الخ ، والتى تنظم الأوقات المناسبة لممارسة نشاط أعضائها وتمدهم بما هم فى حاجة إليه من مواد وإمكانيات ، وما هم فى حاجة إليه أيضاً من مساعدة وتوجيه .

وللمنزل أيضاً دوره الرئيسى فى الاهتمام بالنشاط الإبداعى للموهوبين

وهى ناحية سبق أن تعرضنا لها ويهمنا هنا أن نعود إليها من جديد لتأكيد الدور الذى يمكن أن يقوم به لصالح الموهوبين .

فالمنزل يمثل البيئة الأساسية التى يعيش فيها الطفل قبل أن يدخل المدرسة، ويطبع شخصيته فى مجموعها بطابع معين يلازم الطفل بقية حياته . وله دوره، بصفة خاصة ، فى تنمية ميوله والكشف عن قدراته وقدحها . فالمنزل الذى يجد الطفل فيه من الأبوين صدراً رحباً للمناقشة ، ورعاية كاملة بالنسبة لتقدمه العلمى ونمو إمكانياته ومواهبه ، وتشجيعه ومده بما هو فى حاجة إليه من أدوات وكتب ووسائل تعينه على العمل وتشجعه عليه ، والذى يوفر له الجو الصالح للعمل ، هو أنسب البيئات لنمو الطفل الموهوب .

أما المنزل الذى يهمل حاجة الطفل لإكتساب هذه الخبرات ، ولا يهتم بالكشف عن مواهبه ، بسبب جهل الأبوين أو عدم اهتمامها ، أو عدم قدرتهما على ملاحظة أبنائهم وتمييز مواهبهم ، أو الذى يسرف فى وضع أهداف أعلى بكثير من مستوى الطفل وقدراته ويطالبه ببلوغها .. فإنه على العكس يعطل نشاط الطفل ويمثل عقبة أمام إستمرار نموه وإبراز تفوقه .

وهذه نواحى يمكن أن يستفيد منها الآباء لصالح أبنائهم عن طريق استغلال أوقات فراغهم فيما يعود عليهم بالنفع ، ويظهر فى الوقت نفسه مواهبهم الكامنة .

٣ — النشاط الرياضى :

النشاط الرياضى هو أحد المجالات الرئيسية التى يتجه إليها الشباب فى أوقات فراغهم كمتنفس طبيعى لطاقتهم وحيويتهم التى تشبع عن هذا الطريق

دوافعها ورغباتها بدل الاتجاه إلى مجالات أخرى قد تكون ضارة بالنسبةللشباب وبصفة خاصة بالنسبة لتكوينهم الاجتماعى والخلقى .

وعندما نتكلم عن ممارسة النشاط الرياضى نقصد اشتراك الشاب نفسه فى لعبة رياضية (أو أكثر) يكتسب عن طريقها بعض الفوائد بالنسبة لتكوينه الجسمى ولياقته البدنية ، بالإضافة إلى ما ذكرناه من توجيه طاقته الحيـوية والانفعالية إلى الوجهة التى تتمثل فى ممارسته للعبة معينة .. ولهذا كله تأثيره على صحته الجسمية والنفسية .

فالملاحظ أن نسبة الشباب الذين يتجهون إلى ممارسات جنسية غير سوية ضئيلة للغاية بين الشباب الذين يمارسون نشاطاً رياضياً ما . بينما تزداد هذهالنسبة بين الشباب الذى لا يجد ما يشغل وقت فراغه غير البقاء فى البيت أو زيارة الأصدقاء أو ما أشبه .

وأنواع النشاط الرياضى كثيرة ومعروفة ، يمكن أن يختار من بينها ما يميل إليه وما يتفق مع استعداداته وإمكانياته ، والطريق إلى ممارستها أيضـاً معروف . فهناك الفرق العديدة الخاصة بالألعاب الرياضية المختلفة كفرق كرة القدم والسلة والمصارعة ... الخ ، وهناك النوادى التى تجمع بين عدد من الفرق بمستوياتها المختلفة . وإن كنا نحب أن نشير بهذا الصدد ، أن الاهتمام بالرياضة يجب ألا يقتصر على هيئات معينة تعد بعض الشباب لتمثيلها أو لتمثيل البلاد على المستوى الدولى ، وإنما هو جزء أساسى فى تكوين أبنائنا وفى تربيتهم ومن ثم يجب أن نهتم به كما نهتم بتكوينهم العقلى . فلا تنظر إليه المدرسة على أنه مادة غير أساسية لا نجاح فيها ولا رسوب ، وتضعه فى مرتبة متأخرةبالنسبة لأوجه النشاط الأخرى التى تهتم بها علمية أو أدبية أو فنية ، بل وكثيراً ما تلغى دروسه بالمرة لصالح هذه الأوجه الأخرى من النشاط .

ويوليه الآباء ظهورهم أيضاً ، وينظرون إليه على أنه مضيعة للوقت ، وأنه يأتى على حساب إهتمام ابنائهم بدروسهم ووقت مذاكراتهم .

وللصالح ، يجب أن يضعه الجميع موضعه الصحيح ، فلا يسمحون له بأن يطغى على مواد الدراسة الأخرى ، ولأوقاته بأن تطغى على أوقات المذاكرة والعمل . ولا يهملونه بالمرة ويقفون منه موقف الكراهية والعداء . ويتم ذلك بالتنظيم السليم لأوقات العمل وأوقات الفراغ ، والتوجيه السليم فى البيت والمدرسة .

٤ ــ النشاط الترفيهى :

يرتبط وقت الفراغ فى أذهان الشباب بالترفيه والترويح عن النفس. وتنظر إليه أغلبيتهم على أنه وقت الراحة والهدوء وسكينة النفس . وإذا كانت أوقات الفراغ يمكن أن تسد هذه الحاجات فعلا ، إلا أن الترويح عن النفس لا يعنى الاستسلام للدعة والاسترخاء فحسب ، وإنما يمكن أن يكتسب الفرد من خلال ترويحه عن نفسه فوائد لا تقل عما يكتسبه من خلال ممارسته لنشاط تثقيفى أو فنى آخر . هذا إذا أحسن الفرد إختيار المجال الذى يروح عن نفسه من خلاله فالذهاب إلى السينما مثلا يمكن أن يحقق فوائد كثيرة ثقافية وترفيهية وغيرها ، حسب نوع الأفلام التى يقبل عليها الشاب وإهتماماته الخاصة . والرحلات بالمثل يمكن أن تحقق فوائد عديدة ترفيهية وإجتماعية وثقافية ، فضلا عما تعود به على شخصية الفرد من إكتسابه لصفات المثابرة وتحمل المسئولية والاعتماد على النفس وغير ذلك من الصفات .

وصيد السمك والتصوير .. وغير ذلك من المجالات يمكن أن يحقق فوائد مشابهة ، إذا خطط لها الفرد تخطيطاً سليما ، وإذا وجه لها عنايته وإهتمامه .

بل إن السهرات التلفزيونية الهادئة فى البيت ، والمناقشات التى تدور أثناءها يمكن بدورها أن تحقق نتائج لها أهميتها . لو اهتم الآباء بتوجيه أبنائهم خلالها إلى النواحى التى يمكن أن يستفيدوا منها .. برامج معينة ثقافية أو إجتماعية مثلا تتناسب مع سنهم .. يعلق الأب على مادتها وعلى المناظر التى يشاهدونها ، ويشترك مع بقية أفراد الأسرة فى مناقشات تدور حولها .. فضلا عن جو الألفة وتوثيق الروابط الأسرية .. وغير ذلك من النتائج التى يمكن أن تحققها أمثال هذه السهرات .

٥ – النشاط الاجتماعى وخدمة الجماعة :

سبق أن ذكرنا أن فترة الشباب هى فترة تكوين العلاقات الاجتماعية ، وخاصة مع الشباب الذين من نفس سنهم . ولذلك فالصفة البارزة للشاب فى هذه الفترة هى نشاطه الاجتماعى وميله للاندماج فى جماعات خاصة،أصدقاء الحى أو أصدقاء المدرسة التى ينتمى إليها بل ويعرف عن طريقها .

وذكرنا أيضاً فى بداية حديثنا عن مجالات النشاط التى يتجه إليها الشباب فى أوقات فراغهم ، أن المجال الرئيسى لهذا النشاط هو خروج الشباب فى رفقة بعضهم البعض إلى المقاهى والميادين والشوارع وما أشبه ، وأن وقت الفراغ الذى يمضيه الشاب على هذا النحو .. وقت ضائع لا فائدة ترجى منه ، إن لم يترتب عليه أضرار ومتاعب عديدة .

وفى الحقيقة ، يمكننا استغلال هذا الميل الطبيعى عند الشباب للتجمع فى توجيههم نحو أنواع مختلفة من النشاط الاجتماعى ، كالاشتراك فى النوادى أو الفرق بأنواعها المختلفة رياضية أو فنية أو غيرها ، كفرق كرة القدم والسلة أو فرق التمثيل والموسيقى .. إلى غير ذلك ، والتى يمكن أن يحققوا من خلال اشتراكهم فيها فوائد عديدة جسمية وثقافية واجتماعية وخلقية .

ويمكن استغلال هذا الميل أيضاً فى جمع الشباب لأغراض تتصل بالخدمة العامة كالتطوع مثلا لمحو الأمية أو التطوع لخدمة أغراض عسكرية ، أو الاشتراك فى معسكر من معسكرات العمل .. أو نحو ذلك .

والمهم بالنسبة لهذه المجالات أن ترتبط حقاً بإهتمامات وأهداف الشباب ، لا أن تكون الغرض منها مجرد التظاهر والدعاية .. كما يحدث عندما تتجمع مئات من الشباب فى معسكر للعمل ، لينتهوا آخر الأمر بإزالة بعض الأحجار أو بتمهيد طريق مترب أو نحو ذلك من الأعمال التى يمكن أن يقوم بها نفر من العمال فى أيام محدودة .

فالعبرة بالعمل وبالنتيجة التى يحققها الشاب ويشعر عن طريقها بأنه قد بذل شيئاً وتحمل بعض المسئولية .

فالشباب راغبون حقاً فى البذل ، وإحساسهم بالمسئولية هو جزء من صميم شخصياتهم النامية المتحررة . ولكنهم لا يعرفون كيف يوجهون هذه الطاقة المتحررة . فإذا مهدنا لهم الطريق ووضعنا أمامهم الأهداف ورسمنا معهم الخطط وتركناهم ينطلقون ، نكون قد ساعدناهم حقاً على تحقيق أشيــاء لايستطيعون القيام بها بمفردهم ، ونكون قد ساعدناهم أيضاً على إكتساب بعض العادات والاتجاهات والقيم الاجتماعية المرغوب فيها . وبصفة عامة على تكوين شخصياتهم بالشكل الذى نرضى عنه ونتطلبه فيهم .

هذه الأوجه من النشاط التى يمارسها الشاب خلال أوقات فراغه تثقيفية وفنية ورياضية وترفيهية واجتماعية ... الخ ، تساعد على نمو ميولهم تجاهها وتساعد بالتالى على إقبالهم عليها واستمرار قيامهم بها وممارستهم لها وعن هذا الطريق .. طريق الممارسة البعيدة عن جو التكلف ، والبعيدة عن قيود الواجبات

المفروضة ، التى تؤدى فيها إختبارات معينة ، وتخضع لرقابة خاصة تجعل الشاب يضيق بها وبأوقاتها و بما يكتسبه من خلالها ، كما هى الحال بالنسبةلأغلب أوجه النشاط التى يمارسها الشاب فى المدرسة .. عن هذا الطريق الذى يختار الشاب مجالات نشاطه فيه بنفسه وتبعاً لرغبته الشخصية ، يكتسب الشاب الشيء الكثير . ولا تقتصر الفوائد التى يكتسبها الشاب من هذا الطريق على المجالات به وحدها ، بل تمتد أيضاً إلى المجالات الأخرى التى ترتبط بها وتعتمد عليها مدرسية أو غير مدرسية فضلا عن أن انطلاق الشاب فى هذه المجالاتونواحى النشاط المختلفة التى يمارسها من خلالها أثناء أوقات فراغه ، يعرضه لمواقف يتصرف من تلقاء نفسه ، وتجعله يتدرب على حل أنواع من المشاكل يندر أن يتعرض لمثلها فى حياته ، وخاصة حياته المدرسية التى تسير فى العادة على نمط ثابت وخطوات تعليمية محددة يوجهها المدرس بإستمرار ، ويشرف على كل خطوة فيها .

الوضع الخاص بالفتاة :

لفتياتنا فيما يتصل بوقت الفراغ مشاكلهن الخاصة التى تختلف عن مشاكل إخوتهن من البنين ، بل ربما كانت مشاكلهن أكثر تعقيداً . فللفتى على أى حال الحق فى أن يخرج وأن يذهب إلى هذا المكان أو ذاك وأن يجتمع مع رفاقه وأن يقضى وقته بالكيفية التى يريدها طالما أنه لا يسيء التصرف ولا يخرج عن الحدود المألوفة . أما الفتاة فلا تسمح عاداتنا وأوضاعنا الاجتماعية بمثل هذه الحرية أو التصرف على هذا النحو كما يتصرف البنون .

ليس هذا فقط بل ونطالب الفتاة خلال أوقات فراغها وخاصة خـــلال اجازتها الصيفية بواجبات لا نطالب بها الفتى . واجبات تتصل بمساعدة الأم

والقيام بشئون البيت . ما بين مساعدة فى الطهى وفى رعاية الإخوة الصغار وفى قضاء حاجات البيت ومستلزماته بصفة عامة .

إن حجتها أثناء العام الدراسى للتخلص من هذه الواجبات هى أن عليها واجبات أخرى مدرسية يجب أن تؤديها ، ويجب أن تتفرغ لها كما يتفرغ لها أخوها الشاب . أما عندما تنتهى الدراسة ، فلا يصبح هناك مجال لقيام مثل هذه الحجة ، بل هناك الحجة الأخرى وهى أنها ستصبح فى المستقبل أماً مسئولة عن بيت وأسرة ، وأنها يجب أن تعد لتحمل هذه المسئولية وأن تتدرب عليها.

إن هذه المناقشات والحجج كثيراً ما تتردد بين جنبات البيوت وخاصة بعد أن تنتهى الدراسة ، ولا تصبح أمام الفتيات حجة المذاكرة والدرس أو الاستعداد للامتحان .

وهى تلخص مشكلة بنات الجيل اللاتى يتلقين تعليمهن كإخوتهن البنين فى المدارس ، حتى إذا إنتهت الدراسة أصبح لإخوتهن الحق كل الحق فى أن يلعبوا وأن يخرجوا من المنزل إن شاءوا . أما هن فأمامهن أعباء يجب أن يبادرن بتأديتها وواجبات لابد من القيام بها . وإن أهملت الفتاة أو تكاسلت فهناك اللوم والعتاب وأحياناً كثيرة ما هو أكثر من اللوم والعتاب وما يمتد إلى الإهانة والعقاب . على هذا النحو تجد الفتاة نفسها فى دوامة من الواجبات .. فهى مشغولة طول الوقت ، أيام الدراسة بواجبات الدراسة والمنزل معاً ، وأيام العطلات بواجبات المنزل التى لا تنتهى ، وليس من وقت أمامها لتتفرغ لبعض أوجه النشاط الخاص بها ، أو لتمارس هواية تميل إليها أو نحو ذلك مما يشغل البنين فى أوقات فراغهم .

هذا من ناحية . أما من ناحية وجهة نظر الأبوين — والأم بصفة خاصة— فإنها تصر على أن إعداد الفتاة لحياة المستقبل لا يكون سليما إلا إذا قامت الفتاة بنفسها وتحت إشراف أمها بأعمال البيت وتمرنت على كل شئونه . وتعتقد أغلب الأمهات أن المدارس لا تحقق هذه الغاية تحقيقاً كاملا . فتراهن يصحبن بناتهن بعد العودة من المدارس أو بعد إنتهاء الدراسة إلى المطبخ للطهى أحياناً ولتنظيف وغسل الأوانى وإعداد المائدة ورعاية الصغار .. إلى غير ذلك . وكثيراً ما تكون الأم فى أمس الحاجة إلى هذه المساعدة لزيادة أعباء المنزل ، ولا تجد غير الإبنة لكى تقدم لها هذه المساعدة . وهو أمر لا نستطيع أن ننكره على الأم .

ولكن النتيجة النهائية هى أن تكره الفتاة الأعباء المنزلية الملقاة على عاتقها والتى تزيد كلما تقدم بها العمر وشعرت الأم بأن الفتاة يمكن أن تقوم بها وحدها أو يداً بيد .

وليس معنى هذا الكلام أننا نخلى الفتاة من المسئوليات المنزلية . فهـذا مالا يمكن أن ننادى به . إذ أن من القواعد المسلم بها أن الفتى والفتاة يستطيعان أن يحتلا مكانهما فى الأسرة بصورة أفضل إذا أعطينا كلا منهما الفرصة لأن يسهم فى سير الأمور فى المنزل . ولكن مع مراعاة هذه القاعدة ، يجب أن نضع فى إعتبارنا كذلك أن الأبناء يحتاجون إلى فترة يشعرون فيها بأن لهم أوقاتهم الخاصة ، وأن تحمل العبء والقيام بواجبات البيت أمر يأتى بالتدريج ، وبقصد تعويد الابن والابنة على تحمل المسئوليات عندما يشعران بأهمية ذلك .

وعند هذه النقطة الأخيرة أحب أن أشير إلى مسألة لها أهميتها وكثيراً مالا نتنبه اليها ، وهى أننا فى معاملتنا لأبنائنا نفرق بين البنين والبنات ، ونكاد

نقصر مسئوليات البيت على البنات وحدهن دون البنين . ونخلى البنين من تحمل جزء من المسئولية التى يجب أن يقوموا بها ويعدوا لها بدورهم . فبيت المستقبل لن يتكون من البنات وحدهن ، وإنما يشمل البنات والبنين ، ولذلك وجب أن نعد له البنين كما تعد له البنات .

ولا يعنى هذا أن نشرك الابن فى أعمال الطهى والغسل أو غير ذلك مما نعده من أعمال النساء والبنات ، إذ لكل ميدانه وعمله . فهناك واجبات منزلية يمكن أن يقوم بها الابن ويحتاج اليها البيت مثل شراء الأدوات ومستلزمات البيت من الخارج ، ومثل العناية بالإخوة الصغار ومصاحبتهم والإشراف على لعبهم ... ونحو ذلك من أنواع المساهمة والمشاركة فى أعمال البيت .

إن اعطاء الابن – فتى أو فتاة – مسئولية القيام بعمل فى المنزل أو الإشراف على أحد شئونه بصورة منتظمة يعتبر ضرورة بالنسبة لاعداد الابن لحياة المستقبل ، كما أنه يعتبر شيئاً مشرفاً يجب أن يتقبله الابن بسرور وأن يعتز به ، على أساس أن الأسرة أصبحت تنظر إليه (أو إليها) علىأنه أصبح كبيراً مسئولا يأخذ دوره بجانب أبيه (أو تأخذ دورها بجانب أمها) فى جانب من جوانب الأعباء المنزلية ومسئولياتها ، كما أنها الضرورة أيضاً فى الأسر الكبيرة العدد أن يتحمل الأبناء جزءاً من المسئولية .

هذا ما يجب أن يعرفه الأبناء بنين وبنات ، وما يجب أن نعمل من أجله نحن الآباء . فيجب أن يعرف الابناء أن شئون البيت ومتطلباته ليست مسئولية الأب والأم وحدهما ، وإنما هو عمل يشترك فيه الجميع ، كل حسب طاقته واستطاعته ، بدون اسراف وبدون تحميل فرد مالا يستطيع القيام به من اعباء ، أو يستطيع آخر القيام به أفضل منه ، إلا إذا كان القصد هو التدريب والتمرين .

ويمكن أن يتحقق ذلك لو أدرك الأبناء منذ باكورة حياتهم أنهم إذا أرادوا شيئاً يخصهم ، فيجب ألا يتوقعوا من أمهم التى يشغلها عمل البيت أن تبادر إلى إجابة كل ما يطلبون ، أو من أبيهم الذى عاد منهكاً متعباً من عمله أن ينفذ ما يريدون . بل هو عمل يجب أن يقوموا به طالما أنهم قادرون على ذلك . وأن يكتسبوا من آبائهم وأمهاتهم صفات البذل والعطاء بلا مقابل والعطاء بلا مقابل لما يعطونه . فالكل أفراد أسرة واحدة ، والكل متضامنون عاملون على سعادة هذه الأسرة .

هكذا — وداخل هذا الإطار الذى يحدد مسئوليات الفتى والفتاة فى نطاق الأسرة — يقوم الفتى والفتاة بواجباتها تجاه البيت . وفى الوقت نفسه يأخذ كل منهما أيضاً نصيبه الكافى من الوقت الحر يستغله بالكيفية التى يميل اليها ، ويمارس من خلاله أوجه النشاط التى يستسيغها تحت اشراف الأبوين وتوجيهها ورعايتها .

نقطة أخيرة هى أن لنا فيما يختص بالكيفية التى تشغل بها الفتاة أوقات فراغها نظرة قد تختلف عن نظرتنا الكيفية التى يشغل بها الفتى أوقات فراغه . وهى نقطة أشرت اليها فى بداية كلامنا هذا عن مشاكل الفتاة الخاصة بوقت الفراغ ، وأعود اليها هنا بنوع من التفصيل .

فنحن على أى حال لنا تقاليدنا وأوضاعنا الخاصة التى لا تسمح للفتاة بالخروج كما يخرج الفتى . فتأخر الفتى فى الخارج ، أو اصطحابه لهذه المجموعة أو تلك من الشباب ، أمر لا يهم الآباء كما يهمهم أمر خروج الفتاة وأمر صديقاتها اللاتى تذهب لزيارتهن أو تقضى معهن بعض أوقات فراغها . وهذا يسبب للفتاة مشاكل أخرى بالإضافة إلى مشاكل البيت .

أضف إلى ذلك أن مجالات النشاط التى يمكن أن تقضى فيها الفتاة أوقات

فراغها محدودة للغاية . فمجال الاشتراك فى ممارسة إحدى اللعب الرياضية محدود . وهى لا تستطيع أن تشترك فى رحلات طويلة مثلما يستطيع الفتى إلا برفقة أبويها أو اخوتها الكبار ، أو تخرج للتصوير مثلما يستطيع أخوها الشاب ، أو لصيد السمك ... أو نحو ذلك . وحتى اشتراكها فى النوادى الثقافية والإجتماعية محدود أيضاً .

والمجال الوحيد الذى يلقى التشجيع — خارج البيت والمدرسة — وتتجه اليه الفتاة المثقفة عادة ، هو مجال الخدمة العامة عن طريق الاشتراك فى إحـــدى الجمعيات النسائية . وإن كان هذا النوع من النشاط بطبيعة تكوينه الذى يعتمد فى الغالب على الجهود الفردية ، لا يستوعب إلا أعداداً قليلة للغاية من فتياتنا المثقفات .

ولا يبقى أمام الفتاة بعد ذلك غير أنواع النشاط التى يمكن أن تمارسها فى البيت مثل القراءة وأشغال الإبرة ... أو ما أشبه . وهى بدورها محدودة للغاية وتمارسها الفتاة وحدها ، ولذلك سرعان ما تضيق بها ، وغير أنواع النشاط التى تمارسها فى المدرسة بالنسبة للاتى يذهبن منهن للمدارس .

وهذا هو السبب فى تمسك فتيات المدارس بالذهاب إليها حتى آخر يوم فى الدراسة . ذلك أن المدرسة لهن ليست مكان العلم وحده ، بل هو المكان الذى تلتقى فيه كل فتاة بزميلاتها وصاحباتها ويقضين فيه معاً أوقاتاً طيبة فى الحديث والمناقشة . وهو المكان الذى يمارسن فيه هواياتهن المفضلة .. إلى غير ذلك من النواحى التى تنقص الفتيات فى حياتهن العامة والتى يعوضنها فى حياتهن المدرسية .

محتويات الكتاب